□ عُلُوُّ الهِمَّةِ فِي التـوكُّل □

اعلمْ يا أخي أنّ التوكُّل هو من أجلِّ السُّبُل عند الخاصّة وأعظمها قدرًا ، وقد أمرَ اللهُ رسوله بذلك ، وحضَّه عليه هو والمؤمنين ، فقال تعالىٰ لرسوله : ﴿ **قُلْ هو الرحمٰنُ آمنَّا بِهِ وعليهِ توكَّلْنا فستعلمُونَ مَن هُو في ضلالٍ مُبينٍ** ﴾ [الملك : ٢٩] ، وقال تعالىٰ : ﴿ **فتوكَّلْ علىٰ اللهِ إنَّكَ على الحقِّ المبين** ﴾ [النمل : ٧٩] ، وقال له : ﴿ **وتوكَّلْ علىٰ اللهِ وكفىٰ باللهِ وكيلًا** ﴾ [النساء : ٨١] ، وقال له : ﴿ **وتوكَّلْ علىٰ الحيِّ الذي لا يموتُ وسبِّحْ بحمدِه** ﴾ [الفرقان : ٥٨] ، وقال تعالىٰ : ﴿ **فَإِذَا عزمْتَ فتوكَّلْ علىٰ اللهِ إنَّ اللهِ يحبُّ المتوكِّلِين** ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

وقال عن أنبيائه ورسله : ﴿ **وما لنا ألَّا نتوكَّلَ علىٰ اللهِ وقدْ هدانا سُبُلَنا وَلَنَصْبِرَنَّ علىٰ ما آذيْتُمونا وعلىٰ اللهِ فلْيتوكَّلِ المتوكِّلُون** ﴾ [إبراهيم : ١٢] .

وقال تعالىٰ عن أصحاب نبيِّه : ﴿ **الذينَ قالَ لَهُمُ الناسُ إنَّ الناسَ قدْ جمعُوا لكمْ فاخْشَوْهُمْ فزادهُمْ إيمانًا وقالُوا حسبُنا اللهُ ونعْمَ الوكيل** ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

وقال تعالىٰ عن أوليائه : ﴿ **ربَّنا عليكَ توكَّلْنا وإلَيْكَ أَنَبْنا وإليكَ المصيرُ** ﴾ [الممتحنة : ٤] .

وقال تعالىٰ للمؤمنين : ﴿ **وعلىٰ اللهِ فتوكَّلُوا إنْ كُنتمْ مؤمنين** ﴾ [المائدة : ٢٦] ، وقال تعالىٰ : ﴿ **وعلىٰ الله فلْيتوكَّلِ المؤمنون** ﴾ [إبراهيم : ١١] .

ولم يخاطب الله بالتوكُّل في كتابه إلَّا خواصَّ خلقه ، وأقربهم إليه ، وأكرمهم عليه ، وشرط في إيمانهم أن يكونوا متوكّلين ، والمعلَّقُ علىٰ الشرط

يعدم عند عدمه ، وهذا يدلُّ على انتفاء الإيمان عند انتفاء التوكُّل ، فمَن لا توكُّلَ له لا إيمانَ له .

وقال تعالىٰ : ﴿ **إنما المؤمنونَ الذينَ إذَا ذُكرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلوبُهُمْ وَإذَا تُليتْ عليهِمْ آياتُهُ زادتْهم إيمانًا وعلىٰ ربِّهم يتوكَّلونَ** ﴾ [الأنفال : ٢] . وهذا يدلُّ علىٰ انحصار المؤمنين فيمن كان بهذه الصفة .

وأخبر تعالىٰ عن رسله بأنّ التوكُّل مَلْجَؤُهُم ومعاذُهم ، وأمَرَ به رسولَه في أربعةِ مواضعَ من كتابه ، وقال : ﴿ **وقال موسىٰ يا قوم إنْ كنتمْ آمنتمْ باللهِ فعليهِ توكَّلوا إنْ كنتمْ مؤمنينَ * فقالُوا علىٰ اللهِ توكَّلْنا ربَّنا لا تجعلْنَا فتنةً للقومِ الظالمينَ** ﴾ [يونس : ٨٤ - ٨٥] .

والتوكل مِن أصعبِ منازل العامّة عليهم ، لأنَّ العامّة لم يَخرجوا عن نفوسهم ومألوفاتهم ، ولم يشاهدوا الحقيقة التي شهدها الخاصّة ، وهي التي تشهد التوكيل ، فهم في رِقِّ الأسباب ، فيصعب عليهم الخروج عنها ، وخُلُوُّ القلب منها ، والاشتغال بملاحظة المسبِّب وحده .

والله تبارك وتعالىٰ يُوكّل العبد ويُقيمه في حفْظ ما وَكَّله فيه ، والعبدُ يوكل الربَّ ويعتمد عليه .

فأما وكالة الربِّ عبدَه : ففي قوله تعالىٰ : ﴿ **فإنْ يَكْفُرْ بها هؤلاءِ فقدْ وكَّلْنا بِها قومًا ليسُوا بها بكافرين** ﴾ [الأنعام : ٨٩] . قال قتادة : وكَّلنا بها الأنبياءَ الثمانيةَ عشرَ الذين ذكرناهم . يعني : قبل هـذه الآية . وقال أبو رجاء العطاردي : معناه : إنْ يكفر بها أهل الأرض ، فقد وكّلنا بها أهل السماء ، وهم الملائكة . وقال ابن عباس ومجاهد : هم الأنصار أهل المدينة .

والصواب : أنّ المراد مَن قام بها إيمانًا ودعوةً وجهادًا ونُصرةً ، فهؤلاء

هم الذين وكّلهم الله بها .

فإن قلتَ : فهل يصحُّ أنْ يقال : إنَّ أحدًا وكيل الله ؟

قلتُ : لا ؛ فإنّ الوكيل مَن يتصرف عن موكِّله بطريق النيابة ، والله عز وجل لا نائبَ له ، ولا يَخلُفه أحد ، بل هو الذي يُخلِفُ عبدَه ، كما قال النبي ﷺ : « اللهمّ أنت الصاحبُ في السفر ، والخليفةُ في الأهل » . علىٰ أنّه لا يمتنع أنْ يُطلق ذلك باعتبارِ أنّه مأمورٌ بحفظ ما وكّله فيه ، ورعايته والقيام به .

وأما توكيل العبدِ ربَّه : فهو تفويضُه إليه ، وعزْل نفسه عن التصرف ، وإثباته لأهله ووليّه . ولهذا قيل في التوكل : إنه عزْل النفس عن الربوبية ، وقيامها بالعبودية . وهذا معنى كوْن الربِّ وكيلَ عبده ، أي : كافيه ، والقائم بأموره ومصالحه ؛ لأنَّه نائبُه في التصرف . فوكالة الربِّ عبدَه أمرٌ وتعبُّدٌ وإحسان له ، وخُلعة منه عليه ، لا عن حاجة منه ، وافتقارٍ إليه كموالاته .

وأما توكيل العبدِ ربَّه : فتسليمٌ لربوبيته ، وقيامٌ بعبوديته .

معنىٰ التوكُّل :

قال الإمام أحمد : التوكُّل عمل القلب . ومعنىٰ ذلك : أنه عمل قلبي ، ليس بقول اللسان، ولا عمل الجوارح، ولا هو من باب العلوم والإدراكات.

ومن الناس : مَن يجعله من باب المعارف والعلوم ، فيقول : هو علم القلب بكفاية الربّ للعبد .

ومنهم : من يفسّره بالسكون ، وخمود حركة القلب . فيقول : التوكل هو انطراح القلب بين يدي الرب ، كانطراح الميت بين يدي الغاسل ، يُقلبه كيف يشاء . وهو ترك الاختيار ، والاسترسال مع مجاري الأقدار .

قال سهل : التوكل:الاسترسال مع الله مع ما يريد .

ومنهم : من يفسّره بالرضا ، فيقول : هو الرضا بالمقدور .

قال بشر الحافي : يقول أحدهم : توكلتُ على الله . يكذب على الله ، لو توكَّل على الله ، رضي بما يفعل الله .

وسُئل يحيىٰ بن معاذ : متىٰ يكون الرجل متوكّلًا ؟ فقال : إذا رضي بالله وكيلًا .

ومنهم : من يفسره بالثقة بالله ، والطمأنينة إليه ، والسكون إليه .

قال ابن عطاء : التوكل:أن لا يظهر فيك انزعاجٌ إلى الأسباب ، مع شِدّة فاقَتِك إليها ، ولا تزول عن حقيقة السكون إلى الحقّ مع وقوفك عليها .

قال ذو النون : هو ترك تدبير النفس ، والانخلاع من الحول والقوة ، وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أنَّ الحق سبحانه يعلم ويرى ما هو فيه .

وقال بعضهم : التوكل : التعلّق بالله في كلّ حال .

وقيل : التوكل:أنْ ترِد عليك موارد الفاقات ، فلا تسمو إلَّا إلى مَن إليه الكفايات .

وقيل : نفي الشكوك ، والتفويض إلى مالك الملوك .

وقال ذو النون : خلْع الأرباب ، وقطع الأسباب . يريد قطْعها من تعلُّق القلب بها ، لا من مُلابَسة الجوارح لها .

ومنهم : من جعله مُرَكَّبًا من أمريْن أو أمور .

فقال أبو سعيد الخراز : التوكّل : اضطراب بلا سكون ، وسكون بلا اضطراب . يريد : حركة ذاته في الأسباب بالظاهر والباطن ، وسكون

إلى المسبِّب ، وركون إليه ، ولا يضطرب قلبه معه ، ولا تسكن حركته عن الأسباب الموصلة إلى رضاه .

وقال أبو تراب النَّخْشَبي : هو طرْح البدن في العبودية ، وتعلُّق القلب بالربوبية ، والطمأنينة إلى الكفاية ؛ فإن أُعْطِيَ شكر ، وإن مُنع صبر .

فجعلَه مركّبًا من خمسة أمور : القيام بحركات العبودية ، وتعلُّق القلب بتدبير الرب ، وسكونه إلى قضائه وقدَره ، وطمأنينته وكفايته له ، وشكْره إذا أُعطي ، وصبره إذا مُنع .

وأجمع القوم على أنَّ التوكل لا ينافي القيام بالأسباب . فلا يصحُّ التوكل إلا مع القيام بها،وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد .

قال سهل بن عبد الله : مَن طَعن في الحركة فقد طعن في السنة ، ومن طعن في التوكل فقد طعن في الإيمان .

فالتوكل حالُ النبي ﷺ ، والكسْب سنَّتُه ، فمن عمل علىٰ حاله فلا يتركنّ سنتَه ، وهذا معنى قوْل أبي سعيد : « هو اضطرابٌ بلا سكون ، وسكون بلا اضطراب » . وقول سهلٍ أبين وأرفع .

وقيل : التوكل:قطْع علائق القلب بغير الله .

وسئل سهل عن التوكل ، فقال : قلب عاش مع الله بلا عَلاقة .

وقيل : التوكل:هجْر العلائق ، ومواصلة الحقائق .

وقيل: التوكل: أنْ يستوي عندك الإكثار والإقلال . وهذا مِن موجباته وآثاره ؛ لأنه حقيقته .

ومنهم : من جعل التوكل بداية ، والتسليم واسطة ، والتفويض نهاية .

قال أبو علي الدقّاق : التوكل ثلاث درجات : التوكل ، ثم التسليم ،

ثم التفويض . فالمتوكل يسكن إلى وعده ، وصاحب التسليم يكتفي بعلمه ، وصاحب التفويض يرضىٰ بحكمه . فالتوكل بداية ، والتسليم واسطة ، والتفويض نهاية . فالتوكل صفة المؤمنين ، والتسليم صفة الأولياء ، والتفويض صفة الموحّدين . التوكل صفة العوام ، والتسليم صفة الخواصّ ، والتفويض صفةُ خاصّة الخاصّة . التوكل صفة الأنبياء ، والتسليم صفة إبراهيم الخليل ، والتفويض صفة نبيّنا محمد ﷺ وعليهم أجمعين .

هذا كلّه كلام الدقّاق ، ومعنىٰ هذا التوكل : اعتماد علىٰ الوكيل ، وقد يعتمد الرجل على وكيله مع نوْعِ اقتراحٍ عليه ، وإرادةٍ وشائبةِ منازَعَةٍ ، فإذا سلّم إليه زال عنه ذلك ، ورضي بما يفعله وكيله ، وحال المفوّض فوق هذا ، فإنّه طالب مريد ممّن فوّض إليه ، ملتمسٌ منه أن يتولّى أموره ، فهو رضًا واختيار ، وتسليمٌ واعتماد . فالتوكل يندرج في التسليم ، وهو والتسليم يندرجان في التفويض ، والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

وكلٌّ أشار إلى واحد أو اثنين أو أكثر مِن حال؛ رُكِّب التوكّلُ من مجموعها .

التوكُّل علىٰ اللهِ حقَّ التَّوكُّل :

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لو أنّكم توكّلتم علىٰ الله عزّ وجل حقَّ توكُّلِهِ ، لَرَزَقَكُم كما يرزق الطير ، تغدو خِماصًا وتروح بِطانًا »[١،٢].

---

(١) خماصًا : أي ضامرة البطون من الجوع . وبطانًا : أي ممتلئة البطون .

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد والطيالسي في مسنده ، والترمذي ، والنسائي في الكبرىٰ ، وأبو نعيم في الحلية ، والبغوي في شرح السنة ، وأخرجه أحمد في المسند ، والفسوي في المعرفة ، وابن حبان ، والحاكم ، وصححه ، ووافقه =

عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ كان يقول : « اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكّلت ، وإليك أنبْتُ ، وبك خاصمتُ ، أعوذ بعزّتك ، لا إلٰه إلّا أنت ، الحي الذي لا يموت ، والجن والإنس يموتون »[1] .

قال شيخ الإسلام ابن القيم : « إن التّوكُّل حالٌ مركّبة من مجموع أمورٍ ، لا تتمّ حقيقة التوكل إلّا بها .

فأوَّل ذٰلك معرفةٌ بالرَّبِّ وصفاته : من قدرته ، وكفايته ، وقيُّوميَّتِهِ ، وانتهاء الأمور إلى علمه ، وصدورها عن مشيئته وقدرته . وهذه المعرفة أول درجةٍ يضع بها العبد قدمه في مقام التوكُّل . قال شيخنا رضي الله عنه : ولذلك لا يصحُّ التوكل ولا يُتصوَّر من فيلسوف ، ولا من القَدَرِيّة النُّفاة ، القائلين بأنه يكون في ملكه ما لا يشاء . ولا يستقيم أيضًا من الجَهْمِيّة النّفاة لصفات الرب جل جلاله . ولا يستقيم التوكُّل إلا من أهل الإثبات .

فأيّ توكُّلٍ لمن يعتقد أن الله لا يعلم جزئيّات العالم سُفليّه وعلويّه ، ولا هو فاعل باختياره ، ولا له إرادة ومشيئة ، ولا يقوم به صفة ؟! فكلُّ مَنْ كان بالله وصفاته أعْلَمَ وَأَعْرَفَ ، كان توكُّلُهُ أصحَّ وأقوىٰ . والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

والتوكل من أعَمِّ المقامات تعلُّقًا بالأسماء الحسنىٰ ؛ فإن له تعلُّقًا خاصًّا بعامَّة أسماء الأفعال ، وأسماء الصفات . فله تعلُّق باسم الغفّار ، والتّوّاب ،

= الذهبي ، والبيهقي في الشعب ، وأخرجه أحمد وابن ماجه ، وأبو نعيم في أخبار أصفهان ، وصححه المناوي في التيسير ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (رقم ٥٢٥٤) والصحيحة (رقم ٣١٠) .

(١) أخرجه أحمد ، ومسلم بلفظ : « ... لا إلٰه إلا أنت أن تُضلني ، أنت الحيّ ... » . وأخرجه البخاري مختصرًا . التوكل على الله عز وجل ، ابن أبي الدنيا ، صـ ٣٦ .

والعَفُوّ ، والرَّءوف ، والرَّحيم . وتعلُّق باسم الفتّاح ، والوهّاب ، والرّزّاق ، والمعطي ، والمُحسن . وتعلُّق باسم المُعِزّ ، المُذِلّ ، الحافظ ، الرّافع ، المانع ، من جهة توكُّله عليه في إذلال أعداء دينه ، وخفضهم ومنعهم أسباب النصر . وتعلُّق بأسماء القدرة ، والإرادة . وله تعلُّق عامّ بجميع الأسماء الحسنى . ولهذا فسَّره مَنْ فسَّره من الأئمة بأنه المعرفة بالله . وإنما أراد أنه بحَسَب معرفة العبد ، يصحُّ له مقام التّوكُّل . وكلما كان بالله أَعْرَف ، كان توكُّلُه عليه أقوىٰ .

الدرجة الثانية : إثبات في الأسباب والمسببات : فإن مَنْ نفاها فتوكُّله مدخول . وهذا عكس ما يظهر في بدوات الرأي : أن إثبات الأسباب يَقْدَح في التّوكُّل ، وأن نَفْيها تمام التّوكُّل . فاعلم أن نفاة الأسباب لا يستقيم لهم توكُّل ألبتّة ؛ لأن التّوكُّل من أقوىٰ الأسباب في حصول المتوكَّل فيه ، فهو كالدعاء الذي جعله الله سببًا في حصول المدعو به . فإذا اعتقد العبد أن توكُّله لم ينصبه اللهُ سببًا ، ولا جَعَلَ دعاءه سببًا لنيلِ شيءٍ ، فإن المتوكَّل فيه المدعو بحصوله : إن كان قد قُدِّر ؛ حَصَلَ ، توكَّلَ أو لم يتوكَّلْ ، دعا أو لم يَدْعُ . وإن لم يُقَدَّرْ ؛ لم يحصُلْ ، توكَّلَ أيضًا أو تَرَكَ التّوكُّلَ . وصرَّح هؤلاء : أن التوكل والدعاء عبوديّة محضة ، لا فائدة لهما إلا ذلك . ولو تَرَكَ العبد التّوكُّلَ والدعاء ، ما فاتَهُ شيء مما قُدِّر له . وَمِنْ غُلاتهم مَنْ يجعل الدعاء بعَدَم المؤاخذة على الخطإ والنسيان ، عديمَ الفائدة ، إذ هو مضمون الحصول . ورأيتُ بعض متعمِّقي هؤلاء - في كتابٍ له - لا يُجوِّز الدعاء بهذا ، وإنما يجوِّزه تلاوةً لا دعاءً . قال : لأن الدعاء به يتضمَّن الشّكَّ في وقوعه ؛ لأن الداعي بين الخوف والرجاء ، والشّكّ في وقوع ذلك : شكٌّ في خبر الله . فانظر إلى ما قاد إنكار الأسباب من العظائم ، وتحريم الدعاء بما أثنىٰ الله علىٰ عباده وأوليائه بالدعاء به وبطلبه ،

ولم يزل المسلمون - من عهد نبيهم ﷺ وإلى الآن - يدعون به في مقامات الدعاء ، وهو من أفضل الدعوات . وجواب هذا الوهم الباطل ، أن يقال : بقي قسمٌ ثالث غير ما ذكرتم من القسمين لم تذكروه ، وهو الواقع ؛ وهو أن يكون قُضي بحصول الشيء عند حصول سَبَبِهِ من التَّوكُّل والدعاء ، فنصب الدعاء والتَّوكُّل سَبَبَيْن لحصول المطلوب ، وقضىٰ الله بحصوله إذا فَعَلَ العبدُ سببه ، فإذا لم يأتِ بالسبب ، امتنع المسبَّب . وهذا كما قضي بحصول الولد إذا جامع الرجل مَنْ يُحبلها ، فإذا لم يُجامع لم يُخلق الولد . وقضي بحصول الشِّبَع إذا أكل ، والرّيّ إذا شرب ، فإذا لم يفعل لم يشبع ولم يُروَ . وقضي بحصول الحجّ والوصول إلى مكة إذا سافر وركب الطريق . فإذا جلس في بيته لم يصل إلى مكة . وقضي بدخول الجنة إذا أسلم وأتىٰ بالأعمال الصالحة ، فإذا ترك الإسلام ولم يعمل الصالحات ، لم يدخلها أبدًا . وقضي بإنضاج الطعام بإيقاد النار تحته . وقضي بطلوع الحبوب التي تزرع بشقّ الأرض ، وإلقاء البذر فيها ، فما لم يأتِ بذلك لم يحصل إلا الخيبة .

فوِزان ما قاله منكرو الأسباب : أن يترُك كلٌّ مِن هؤلاء السببَ الموصِّلَ ، ويقول : إن كان قُضي لي وسبق في الأزل حصول الولد والشِّبَع والرّيّ والحجّ ونحوها ، فلا بد أن يصل إليَّ ، تحرَّكتُ أو سكنتُ ، وتزوَّجت أو تركت ، سافرت أو قعدت . وإن لم يكن قد قُضي لي ، لم يحصُل لي أيضًا ، فعلتُ أو تركت . فهل يعُدُّ أحَدٌ هذا من جملة العقلاء ؟! وهل البهائم إلَّا أفْقَه منه ؟! فإن البهيمة تسعىٰ في السبب بالهداية العامة .

فالتَّوكُّل من أعظم الأسباب التي يحصُل بها المطلوب ، ويندفع بها المكروه . فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التّوكُّل . ولكنْ مِن تمام التّوكُّل : عدم الرُّكُون إلى الأسباب ، وقطْع علاقة القلب بها ، فيكون حال

قلبه قيامه بالله لا بها ، وحال بَدَنِهِ قيامه بها . فالأسباب محلّ حكمة الله وأمره ودينه ، والتَّوكُّل متعلّق بربوبيته وقضائه وقدره . فلا تقوم عبودية الأسباب إلَّا على ساقِ التّوكّل ، ولا يقوم ساق التّوكّل إلَّا علىٰ قَدَم العبودية . والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

الدرجة الثالثة : رسوخ القلب في مقام توحيد التَّوكُّل : فإنه لا يستقيم توكُّل العبد حتى يصحّ له توحيده . بل حقيقة التّوكُّل : توحيد القلب . فما دامت فيه علائق الشرك ، فتوكُّلُه معلولٌ مدخولٌ ، وعلى قدْر تجريد التوحيد ، تكون صحَّة التّوكّل ، فإن العبد متىٰ التفتَ إلى غير الله ، أخَذَ ذلك الالتفاتُ شُعبةً من شُعَب قلبه ، فنقص من توكُّله على الله بقدْر ذَهاب تلك الشُّعبة ، ومن هاهنا ظنَّ مَنْ ظنّ ، أن التَّوكُّل لا يصحُّ إلا برفض الأسباب ، وهذا حقٌّ . لكنَّ رَفْضها عن القلب لا عن الجوارح ، فالتوكل لا يتمّ إلا برفض الأسباب عن القلب ، وتعلُّق الجوارح بها ، فيكون منقطعًا منها متَّصِلًا بها . والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

الدرجة الرابعة : اعتماد القلب على الله ، واستناده إليه ، وسكونه إليه : بحيث لا يبقىٰ فيه اضطراب من تشويش الأسباب ، ولا سكونٌ إليها . بل يخلع السكونَ إليها من قلبه ، ويُلبسه السكونَ إلى مسبِّبها . وعلامة هذا : أنه لا يُبالي بإقبالها وإدبارها ، ولا يضطرب قلبه ويخفق عند إدبار ما يحب منها ، وإقبال ما يكره ؛ لأن اعتماده علىٰ الله ، وسكونه إليه ، واستناده إليه ، قد حصَّنه من خوفها ورجائها ، فحاله حالُ مَنْ خرج عليه عدوٌّ عظيم لا طاقة له به ، فرأى حِصنًا مفتوحًا ، فأدخله ربُّه إليه ، وأغلق عليه باب الحصن . فهو يشاهد عدوَّه خارج الحِصن ، فاضطرابُ قلبِه وخوفُه من عدوّه في هذه الحال ، لا معنىٰ له . وكذٰلك من أعطاه ملكٌ درهمًا ، فسُرق منه ، فقال له الملك : عندي أضعافه فلا تهتمَّ ، متىٰ جئتَ إلَيَّ أعطيتُك من

خزائني أضعافه . فإذا علم صحة قوْل الملك ، وَوَثِقَ به واطمأنَّ إليه ، وعلم أن خزائنه مليئة بذلك - لم يُحزِنه فَوْتُهُ . وقد مثَّل ذلك بحال الطفل الرضيع في اعتماده وسكونه ، وطُمأنينته بثدي أمه لا يعرف غيره ، وليس في قلبه التفاتٌ إلى غيره ، كما قال بعض العارفين : المتوكِّل كالطفل ، لا يعرف شيئًا يأوي إليه إلا ثدي أمه ، كذلك المتوكِّل لا يأوي إلا إلى ربه سبحانه .

الدرجة الخامسة : حُسن الظن بالله عز وجل : فعلىٰ قدر حسن ظنِّك بربك ورجائك له ، يكون توكُّلك عليه ، ولذلك فَسَّر بعضهم التوكل بحُسن الظن بالله . والتحقيق : أن حُسن الظَّنّ به يدعوه إلى التوكُّل عليه . إذ لا يتصوَّر التّوكُّل على من ساء ظنُّك به ، ولا التّوكُّل علىٰ من لا ترجوه . والله أعلم .

الدرجة السادسة : استسلام القلب له ، وانجذاب دواعيه كلِّها إليه ، وقطع منازعاته : وبهذا فسَّره من قال : أن يكون العبد بين يدي الله ، كالميِّت بين يدي الغاسِل ، يُقلِّبه كيف أراد ، لا يكون له حركة ولا تدبير . وهذا معنىٰ قول بعضهم : التَّوكُّل إسقاط التدبير . يعني الاستسلام لتدبير الرب لك ، وهذا في غير باب الأمر والنهي ، بل فيما يفعله بك ، لا فيما أمرك بفعله . فالاستسلام كتسليم العبدِ الذليل نَفْسَهُ لسيِّده ، وانقياده له ، وتَرْك منازعات نفسه وإرادتها مع سيده . والله سبحانه وتعالىٰ أعلم .

ولله دَرُّ القائل :

لا تُدبِّرْ لك أمْـرا ... فَأُولُو التَّدْبيرِ هَلْكَىٰ
سَلِّمِ الأَمْرَ تَجِدْنَا ... نحنُ أَوْلَى بِكَ مِنْكَـا

الدرجة السابعة : التفويض : وهو رُوح التَّوكُّل ولُبُّهُ وحقيقته . وهو إلقاء أمورِهِ كلِّها إلى الله ، وإنزالها به طَلَبًا واختيارًا ، لا كُرْهًا واضطرارًا ،

بل كتفويضِ الابن العاجز الضعيف المغلوب علىٰ أمره ، كلَّ أموره إلى أبيه ، العالم بشفقته عليه ورحمته ، وتمام كفايته ، وحُسن ولايته له ، وتدبيره له ، فهو يرىٰ أن تدبير أبيه له ، خيرٌ من تدبيره لنفسه ، وقيامه بمصالحه وتولّيه لها ، خيرٌ من قيامه هو بمصالح نفسه وتولّيه لها ، فلا يجد له أصْلَح ولا أرْفَق من تفويضه أموره كلّها إلى أبيه ، وراحته من حَمْل كُلَفِها وثقل حِمْلها ، مع عجزه عنها ، وجهله بوجوه المصالح فيها ، وعلمه بكمال علْم من فوّض إليه ، وقدرته وشفقته . فإذا وضع قَدَمه في هذه الدرجة ، انتقل منها إلى :

درجة الرضا : وهي الدرجة الثامنة : وهي ثمرة التَّوكُّل . ومن فسَّر التّوكُّل بها ، فإنما فسّره بأجَلِّ ثمراته وأعظم فوائده ، فإنه إذا توكَّل حقَّ التّوكُّل ، رضي بما يفعله وكيلُه . وكان شيخنا - رضي الله عنه - يقول : المقدور يكتنفه أمران : التّوكُّل قَبْلَه والرضا بعده ، فمن توكَّل علىٰ الله قَبْل الفعل ، ورضي بالمقضي له بعد الفعل ، فقد قام بالعبودية . أو معنىٰ هذا . قلت : وهذا معنىٰ قول النبي ﷺ في دعاء الاستخارة : « اللهم إني أستخيرك بعلمك ، وأسْتَقْدِرُكَ بقُدْرتك ، وأسألك من فضلك العظيم » . فهذا توكُّل وتفويض . ثم قال : « فإنك تعلم ولا أعلم ، وتقدر ولا أقدر ، وأنت علَّام الغيوب » . فهذا تبرُّؤ إلى الله من العلْم والحوْل والقُوَّة ، وتوسُّلٌ إليه - سبحانه - بصفاته التي هي أحبُّ ما توسّل إليه بها المتوسِّلون . ثم سأل ربه أن يقضي له ذلك الأمر إن كان فيه مصلحتُه عاجلًا أو آجلًا ، وأن يصرفه عنه إن كان فيه مَضَرَّتُه عاجلًا أو آجلًا ، فهذا هو حاجته التي سألها . فلم يبق عليه إلا الرضا بما يقضيه له ، فقال : « وَٱقْدرْ لِيَ الخَيْرَ حيثُ كَانَ ، ثم رَضِّنِي به » . فقد اشتمل هذا الدعاء على هذه المعارف الإلٰهية ، والحقائق الإيمانية ، التي من جملتها : التَّوكُّل والتفويض قَبْلَ وقوعِ المقدور . والرضا

بعده ، وهو ثمرة التّوكُّل . والتفويض علامةُ صحّتِهِ . فإن لم يَرْضَ بما قُضِيَ له ، فتفويضه معلولٌ فاسد .

فباستكمال هذه الدرجات الثمان ، يستكمل العبد مقام التَّوكُّل ، وتثبُت قدمُه فيه . وهذا معنىٰ قول بشرٍ الحافي : يقول أحدهم : توكَّلتُ على الله . يكذبُ علىٰ الله ؛ لو توكَّلَ على الله لرضي بما يفعله الله به . وقول يحيىٰ بن معاذ وقد سُئل : متى يكون الرجل متوكِّلًا ؟ فقال : إذا رضي بالله وكيلًا »[1].

اشتباه المحمود الكامل من التَّوكُّل بالمذموم الناقص :

يقول شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية : « وكثيرًا ما يشتبه في هذا الباب : المحمودُ الكامل بالمذموم الناقص . فيشتبه التفويض بالإضاعة ، فيضيِّع العبد حظَّه ، ظنًّا منه أن ذلك تفويضٌ وتوكُّل . وإنما هو تضييعٌ لا تفويض ؛ فالتضييع في حقِّ الله ، والتفويض في حقِّك .

ومنه : اشتباه التوكل بالراحة ، وإلقاء حمل الكَلِّ . فيظنُّ صاحبه أنه متوكِّل ، وإنما هو عاملٌ علىٰ عدم الراحة . وعلامة ذلك : أن المتوكِّل مجتهدٌ في الأسباب المأمور بها غاية الاجتهاد ، مستريحٌ مِنْ غيرها لتعبه بها . والعامل على الراحة آخِذٌ من الأمر مقدارَ ما تندفع به الضرورة ، وتسقُط به عنه مُطالَبَة الشرع . فهذا لون ، وهذا لون .

ومنه : اشتباه خَلْع الأسباب بتعطيلها . فخلعُها توحيد ، وتعطيلُها إلحاد وزندقة . فخلْعُهَا عَدَم اعتماد القلب عليها ، ووثوقه وركونه إليها مع قيامه بها . وتعطيلها إلغاؤها عن الجوارح .

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ١١٧ - ١٢٣ .

ومنه : اشتباه الثقة بالله بالغرور والعجز . والفَرْق بينهما : أن الواثق بالله قد فَعَلَ ما أمره الله به ، ووثق بالله في طلوع ثمرته ، وتنميتها وتزكيتها ، كغارس الشجرة ، وباذر الأرض . والمغترُّ العاجز : قد فرط فيما أمر به ، وزعم أنه واثق بالله . والثقة إنما تصحُّ بعد بذْل المجهود .

ومنه : اشتباه الطمأنينة إلى الله والسكون إليه ، بالطمأنينة إلى المعلوم ، وسكون القلب إليه . ولا يميِّز بينهما إلَّا صاحب البصيرة ، كما يُذكر عن أبي سليمان الداراني : أنه رأى رجلًا بمكة لا يتناول شيئًا إلا شَرْبَةً من ماء زمزم ، فمضىٰ عليه أيام ، فقال له أبو سليمان يومًا : أرأيت لو غارت زمزم ، أيّ شيءٍ كنت تشرب ؟ فقام وقبَّل رأسه ، وقال : جزاك الله خيرًا ، حيث أرشدْتني ، فإني كنت أعبد زمزم منذ أيامٍ . ثم تركه ومضىٰ .

وأكْثَر المتوكِّلين سكونُهم وطُمأْنِينتُهُم إلى المعلوم ، وهم يظنون أنه إلى الله . وعلامة ذلك : أنه متى انقطع معلومُ أحَدِهم ، حَضَرَه هَمُّه وَبَثُّه وخوفه ، فعلم أن طمأنينته وسكونه لم يكن إلى الله .

ومنه : اشتباه الرضا عن الله بكل ما يفعل بعبده - مما يحبه ويكرهه - بالعزْم على ذلك ، وحديث النفْس به . وذلك شيءٌ ، والحقيقة شيءٌ آخر ، كما يُحكىٰ عن أبي سليمان أنه قال : أرجو أن أكون أُعطِيت طرفًا من الرضا ، لو أدخلني النار لكنت بذلك راضيًا . فسمعتُ شيخ الإسلام ابن تيمية يقول : هذا عزمٌ منه علىٰ الرضا وحديثُ نفسٍ به . ولو أدْخَلَهُ النار ، لم يكن من ذلك شيءٌ . وَفَرْقٌ بين العزم علىٰ الشيء وبين حقيقته .

ومنه : اشتباه عِلْم التَّوكُّل بحال التّوكّل . فكثيرٌ من الناس يعرف التّوكُّل وحقيقته وتفاصيله ، فيظنّ أنه متوكِّل ، وليس من أهل التوكل . فحال التّوكّل : أمرٌ آخر مِنْ وراء العلم به . وهذا كمعرفة المحبة والعلم

بها وأسبابها ودواعيها . وحال المحبّ العاشق وراء ذلك . وكمعرفة علم الخوف ، وحال الخائف وراء ذلك . وهو شبيهٌ بمعرفة المريض ماهيَّة الصحة وحقيقتها ، وحالُهُ بخلافها .

فهذا الباب يكثر اشتباهُ الدَّعاوى فيه بالحقائق ، والعوارِض بالمطالب ، والآفات القاطِعة بالأسباب الموصلة . والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم »[١] .

توكُّل العاجِز القاصِر الهمَّة المغبون في توكُّله :

يقول شيخ الإسلام ابن القيم : « كثيرٌ من المتوكِّلين يكون مغبونًا في توكُّله ، وقد توكَّلَ حقيقةَ التّوكّل وهو مغبون ؛ كمن صَرَفَ توكُّلَه إلى حاجةٍ جزئيّة استفرغَ فيها قوةَ توكُّله ، ويمكنه نيلُها بأيسر شيءٍ ، وتفريغُ قلبه للتّوكّل في زيادة الإيمان والعلم ، ونصرة الدين ، والتأثير في العالم خيرًا . فهذا توكُّل العاجز القاصر الهمَّة ، كما يصرف بعضهم همَّتَهُ وتوكُّلَه ودعاءَهُ إلى وَجَع يمكن مداواته بأدنى شيء ، أو جوع يمكن زواله بنصف رغيفٍ أو نصفِ درهم ، أو نصرٍ على عدوّ أو زوجة أو ولد ، ونحو ذلك ، ويَدَع صرْفه إلى نُصرة الدين ، وقمْع المبتدعين ، وزيادة الإيمان ، ومصالح المسلمين . والله أعلم .

ودون هؤلاء من يتوكَّل عليه في حُصُول الإثم والفواحش ، فإن أصحاب هذه المطالب لا ينالونها غالبًا إلا باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه ، بل قد يكون توكُّلهم أقوى من توكّل كثيرٍ من أصحاب الطاعات ؛ ولهذا يُلقون أنفسهم في المتالف والمهالك ، معتمدين على الله أن يسلِّمهم ، ويظفرهم بمطالبهم » .

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٢٣ - ١٢٥ .

فالتَّوكُّل أوسع المنازل وأجمعها ، ولا تزال معمورة بالنَّازِلين ، لسعة متعلَّق التّوكّل ، وكثرة حوائج العالمين ، وعموم التّوكّل ، ووقوعه من المؤمنين والكفار ، والأبرار والفجار ، والطير والوحش والبهائم . فأهل السمٰوات والأرض - المكلَّفون وغيرهم - في مقام التَّوكُّل ، وإن تبايَنَ متعلّق توكُّلهم .

درجات التَّوكُّل :

قال ابن القيم في « مدارج السالكين » شارحًا كلام شيخ الإسلام الأنصاري : « قال : « وهو على ثلاث درجات :

الدرجة الأولىٰ : التَّوكُّل مع الطَّلَب ، ومعاطاة السبب على نِيَّة شغل النفس بالسبب مخافة ، ونفْع الخلْق ، وتَرْك الدَّعوى » .

يقول : إن صاحب هذه الدرجة يتوكل على الله ، ولا يترك الأسباب ، بل يتعطاها على نيَّة شغل النَّفْس بالسبب ، مخافةَ أن تفرغ فتشتغل بالهوىٰ والحظوظ . فإن لم يشغل نفسه بما ينفعها شغلتْه بما يضرُّه ، لا سيما إذا كان الفراغ مع حدَّة الشباب ، وملْك الجِدَة ، وميْل النفس إلى الهوىٰ ، وتوالي الغفلات ، كما قيل :

إن الشبابَ والفراغَ والجِدَهْ مَفْسَدَةٌ للمرء أيّ مفسدهْ

ويكون أيضًا قيامه بالسبب على نيَّة نفْع النفس ، ونفع الناس بذلك ، فيحصل له نفع نفسه ونفع غيره .

وأمَّا تضمُّن ذلك لترك الدعوىٰ : فإنه إذا اشتغل بالسبب تخلَّصَ من إشارة الخلْق إليه ، الموجِبة لحُسن ظنّه بنفسه ، الموجِب لدعواه . فالسبب ستْرٌ لحاله ومقامه ، وحجابٌ مُسْبَل عليه .

ومن وجهٍ آخر ، وهو أن يَشْهَد به فقره وذُلَّه ، وامتهانه امتهانَ العبيد

والفَعَلَة . فيتخلَّص من رعونةِ دعوىٰ النفس ، فإنه إذا امتهن نفسه بمعاطاة الأسباب ، سَلِمَ من هذه الأمراض .

فيقال : إذا كانت الأسباب مأمورًا بها ، ففيها فائدةٌ أجلُّ من هذه الثلاث ، وهي المقصودة بالقصد الأول ، وهذه مقصودة قصد الوسائل . وهي القيام بالعبودية والأمر الذي خُلق له العبد ، وأُرسلت به الرسل ، وأُنزلت لأجله الكتب ، وبه قامت السمٰوات والأرض ، وله وُجدت الجنة والنار . فالقيام بالأسباب المأمور بها : مَحْضُ العبودية ، وحقُّ الله على عبده الذي توجَّهت به نحوه المطالب ، وترتَّب عليه الثواب والعقاب . والله سبحانه أعلم .

قال : « **الدرجة الثانية** : التَّوكُّل مع إسقاط الطلب ، وغَضّ العين عن السبب ؛ اجتهادًا لتصحيح التّوكّل ، وقمعًا لشرف النفس ، وتفرُّغًا إلى حِفْظ الواجبات » .

قوله : « مع إسقاط الطلب » ؛ أي من الخلْق لا من الحق ، فلا يطلب من أحدٍ شيئًا . وهذا من أحْسَن الكلام وأنْفَعه للمريد ؛ فإن الطَّلَب من الخلْق في الأصل محظورٌ ، وغايته أن يُباح للضرورة ، كإباحة الميتة للمضطرّ ، ونصَّ أحمد على أنه لا يجب . وكذلك كان شيخنا يُشير إلى أنه لا يجب الطلب والسؤال . وسمعتُهُ يقول في السؤال : هو ظُلم في حقِّ الربوبية ، وظلم في حق الخلْق ، وظلم في حق النفس .

أمّا في حق الربوبية ؛ فَلِمَا فيه مِن الذُّلّ لغير الله ، وإراقة ماء الوجه لغير خالقه ، والتَّعوُّض عن سؤاله بسؤال المخلوقين ، والتَّعرُّض لمقته إذا سأل وعنده ما يكفيه يومه . وأمّا في حق الناس : فبمنازعتهم ما في أيديهم بالسؤال ، واستخراجه منهم . وأبغض ما إليهم : مَنْ يسألهم ما في أيديهم . وأحبُّ ما إليهم :

من لا يسألهم ؛ فإن أموالهم محبوباتهم ، ومن سألك محبوبك فقد تعرَّض لمقتك وبغضك . وأمَّا ظلم السائل نفسه : فحيثُ امْتَهَنَهَا وأقامها في مقام ذُلِّ السؤال ، ورضي لها بذُلِّ الطلب ممن هو مِثْلُه ، أو لعل السائل خير منه وأعلى قَدْرًا ، وتَرَكَ سؤال مَنْ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . فقد أقام السائل نفسه مقامَ الذُّل ، وأهانها بذلك ، ورضي أن يكون شحَّاذًا مِن شحّاذٍ مثله ، فإن من تشحذه فهو أيضًا شحّاذ مثلك ، والله وحده هو الغني الحميد . فسؤال المخلوق للمخلوق : سؤال الفقير للفقير . والرب تعالىٰ كلَّما سألتَهُ كَرُمْتَ عليه ، ورضي عنك ، وأحبَّك . والمخلوق كلما سألته هُنت عليه وأبغضَك ومَقَتَك وَقَلاكَ ، كما قيل :

اللهُ يغضبُ إن تركتَ سؤالَهُ وَبنيُّ آدَمَ حينَ يُسألُ يغضبُ

وقبيحٌ بالعبد المريد : أن يتعرَّض لسؤال العبيد ، وهو يجد عند مولاه كلّ ما يريد . وفي صحيح مسلم عن عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه ، قال : كُنّا عند رسول الله ﷺ تسعة - أو ثمانية ، أو سبعة - فقال : « ألا تُبايعون رسول الله ؟ » . وكنّا حديثي عهدٍ ببيعةٍ ، فقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، ثم قال : « ألا تُبايعون رسول الله ؟ » . فبسطْنا أيدينَا وقلنا : قد بايعناك يا رسول الله ، فعلام نُبايعك ؟ فقال : « أن تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئًا ، والصلوات الخمس - وأسرَّ كلمةً خفيَّةً - ولا تسألوا الناس شيئًا » . قال : ولقد رأيت بعضَ أولئك النَّفَر يسقط سَوْطُ أَحَدِهم ، فما يسأل أحدًا أن يُناوله إياه .

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما ، عن النبي ﷺ قال : « لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله وليس في وجهه مُزْعة لحمٍ » .

وفيهما أيضًا عنه ، أن رسول الله ﷺ قال - وهو على المنبر ، وَذَكَرَ الصَّدَقة والتَّعفُّف عن المسألة - : « واليَدُ العليا خيرٌ من اليدِ السفلى » .

واليد العليا : هي المنفقة . والسفلى : هي السائلة .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ قال : « من سأل الناس تكثُّرا ، فإنما يسأل جَمْرًا ، فَلْيَسْتَقِلّ أو لِيَسْتَكْثِرْ » .

وفي الترمذي عن سَمُرة بن جندب رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « إن المسألة كَدٌّ يَكُدُّ بها الرجل وَجْهَهُ ، إلا أن يسأل الرجلُ سلطانًا ، أو في الأمر الذي لا بُدَّ منه » . قال الترمذي : حديث صحيح .

وفيه عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا : « مَنْ أَصَابَتْهُ فاقةٌ ، فأنزلها بالناس لم تُسَدَّ فاقته ، ومَنْ أنزلها بالله فيوشِكُ الله له برزقٍ عاجِل أو آجِل » .

وفي السنن والمسند عن ثوبان رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله ﷺ : « من تكفَّل لي أن لا يسأل الناس شيئًا ، أتكفَّل له بالجنة » . فقلت : أنا . فكان لا يسألُ أحدًا شيئًا .

وفي صحيح مسلم عن قبيصة رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « إن المسألة لا تحلُّ إلَّا لأحَدِ ثلاثةٍ : رَجُل تحمَّل حمالةً ، فحلَّتْ له المسألةُ حتى يُصيبها ، ثم يُمسك . ورجلٌ أصابتْهُ جائحةٌ اجتاحتْ مالَهُ ، فحلّتْ له المسألة حتى يُصيب قوامًا مِنْ عيشٍ - أو قال : سدادًا من عيش - . ورَجُل أصابَتْهُ فاقةٌ حتى يقولَ ثلاثةٌ من ذوي الحِجَا من قومه : لقد أصابت فلانًا فاقةٌ . فحلَّتْ له المسألةُ حتى يُصيب قوامًا من عيشٍ - أو قال : سدادًا من عيش - . فما سواهُنَّ من المسألة يا قبيصة ، فَسُحْتٌ يأكُلُهَا صاحبها سُحْتًا » .

فالتَّوكُّل مع إسقاط هذا الطَّلَب والسؤال ، هو مَحْضُ العبودية .

قوله : « وغضّ العين عن التَّسبُّب ، اجتهادًا في تصحيح التَّوكُّل » .

معناه : أنه يُعرض عن الاشتغال بالسبب ، لتصحيح التّوكّل بامتحان النفس . لأن المتعاطي للسبب قد يظنّ أنه حَصَّل التّوكُّل ، ولم يُحصِّلْه لثقته بمعلومه ، فإذا أعرضَ عن السبب ، صحَّ له التّوكُّل .

وهذا الذي أشار إليه : مذهب قومٍ من العُبَّاد والسالكين ، وكثير منهم كان يدخل البادية بلا زاد ، ويرى حمل الزاد قدْحًا في التّوكّل ، ولهم في ذلك حكايات مشهورة ، وهؤلاء في خفارة صدقهم ، وإلَّا فدرجتُهم ناقصةٌ عن العارفين ، ومع هذا فلا يُمكن بشرًا ألبتة تَرْك الأسباب جملةً . فهذا إبراهيم الخوَّاص كان مجرَّدًا في التّوكّل يُدقِّق فيه ، ويدخل البادية بغير زاد ، وكان لا تفارقه الإبرة والخيط والركوة والمقراض ، فقيل له : لِمَ تحمل هذا ، وأنت تمنع من كل شيء ؟ فقال : مثل هذا لا ينقص من التّوكُّل ؛ لأن لله علينا فرائض ، والفقير لا يكون عليه إلا ثوبٌ واحد ، فربما تخرَّق ثوبه ، فإذا لم يكن معه إبرة وخيوط تبدو عورته ، فتفسد عليه صلاته ، وإذا لم يكن معه ركوة فسدت عليه طهارته ، وإذا رأيت الفقيرَ بلا ركوة ولا إبرة ولا خيوط ، فاتَّهِمْه في صلاته .

أفلا تراه لم يستقم له دينه إلا بالأسباب ؟ أو ليست حركة أقدامه ونَقْلها في الطريق والاستدلال على أعلامها - إذا خفيت عليه - من الأسباب ؟ فالتَّجرُّد من الأسباب جملةً : ممتنعٌ عقلًا وشرعًا وحسًّا . نعم، قد تعرض للصادق أحيانًا قوة ثقةٍ بالله ، وحالٌ مع الله ، تحمله على ترك كلِّ سببٍ مفروض عليه ، كما تحمله على إلقاء نفسه في مواضع الهلكة ، ويكون ذلك الوقت بالله لا به ، فيأتيه مددٌ من الله على مقتضى حاله ، ولكن لا تدوم له هذه الحال ، وليست في مقتضى الطبيعة ؛ فإنها كانت هجمة هجمتْ عليه بلا استدعاء فحمل عليها ، فإذا استدعى مِثْلَها وتكلَّفها ، لم يُجَب إلى ذلك ، وفي تلك الحال : إذا تَرَكَ السبب يكون معذورًا ؛ لقوة

الوارد وعجزه عن الاشتغال بالسبب ، فيكون في وارده عونٌ له ، ويكون حاملًا له ، فإذا أراد تعاطي تلك الحال بدون ذلك الوارد ، وقع في المحال . وكل تلك الحكايات الصحيحة التي تُحكى عن القوم ، فهي جزئيَّة حصلت لهم أحيانًا ، ليست طريقًا مأمورًا بسلوكها ، ولا مقدورة ، وصارت فتنة لطائفتين ؛ طائفة ظنتها طريقًا ومقامًا ، فعملوا عليها ، فمنهم من انقطع ، ومنهم من رجع ولم يمكنه الاستمرار عليها ، بل انقلب على عقبيه . وطائفة قدحوا في أربابها ، وجعلوهم مخالفين للشرع والعقل ، مدَّعِين لأنفسهم حالًا أكمل من حال رسول الله ﷺ وأصحابه ، إذ لم يكن فيهم أحَدٌ قطٌّ يفعل ذلك ، ولا أخلَّ بشيءٍ من الأسباب ، وقد ظاهَرَ رسول الله ﷺ بين درعيْن يوم أُحُد ، ولم يحضر الصَّفّ قطُّ عُريانًا ، كما يفعله من لا علم عنده ولا معرفة ، واستأجر دليلًا مشركًا على دين قومه ، يدلُّه على طريق الهجرة ، وقد هدىٰ الله به العالمين ، وعصمه من الناس أجمعين ، وكان يدَّخِر لأهله قُوتَ سنةٍ وهو سيِّد المتوكِّلين ، وكان إذا سافر في جهادٍ أو حجٍّ أو عمرةٍ ، حَمَلَ الزاد والمزاد .

قوله : « وقمعًا لشَرَف النفس » .

يريد : أن المتسبِّب قد يكون متسبِّبًا بالولايات الشريفة في العبادة ، أو التِّجارات الرفيعة ، والأسباب التي له بها جاهٌ وشرف في الناس ، فإذا تَرَكَهَا ، يكون تركها قمعًا لشرف نفسه ، وإيثارًا للتواضع .

وقوله : « وتفرُّغًا لحفظ الواجبات » .

أي يتفرّغ بتركها لحفظ واجباتها التي تُزاحمها تلك الأسباب . والله أعلم .

قال : « **الدرجة الثالثة** : التَّوكُّل مع معرفة التّوكّل ، النازعة إلى الخلاص

من عِلَّة التّوكّل . وهي أن يعلم أن مِلْكَةَ الحقِّ تعالىٰ للأشياء هي مِلْكة عِزَّة ، لا يُشاركه فيها مُشارِك ، فَيَكِل شركتَهُ إليه ؛ فإنَّ مِنْ ضرورةِ العبوديةِ : أن يعلم العبد أن الحقَّ سبحانه هو مالك الأشياء وَحْدَه » .

يريد أن صاحب هذه الدرجة ، متى قَطَعَ الأسباب والطَّلَب ، وتعدَّى تينك الدرجتيْن ، فتوكُّلُه فوقَ توكُّلِ مَنْ قَبْلَهُ . وهو إنما يكون بعد معرفته بحقيقة التّوكُّلِ ، وأنه دون مقامه ، فتكون معرفته به وبحقيقته نازِعة - أي باعثة وداعية - إلى تخلُّصِه من علَّة التّوكُّل ، أي لا يعرف علَّة التّوكُّل حتى يعرف حقيقتَهُ ، فحينئذٍ يعرف التَّوكُّل المعرفةَ التي تدعوه إلى التخلُّص من علّته .

ثم بيَّن المعرفة التي يعلم بها علَّة التَّوكُّل فقال : « أن يعلم أن مِلْكَة الحقِّ للأشياء مِلْكة عزَّة » ؛ أي مِلْكة امتناع وقوة وقهر ، تمنع أن يشاركه في مُلْكِهِ لشيءٍ من الأشياء مُشارِك ، فهو العزيز في مُلْكه ، الذي لا يُشاركه غيره في ذرَّةٍ منه ، كما هو المنفرد بعزَّته التي لا يُشاركه فيها مشارك .

فالمتوكِّل يرى أن له شيئًا قد وكَّل الحق فيه ، وأنه سبحانه صار وكيله عليه . وهذا مخالفٌ لحقيقة الأمر ؛ إذ ليس لأحدٍ من الأمر مع الله شيء ، فلهذا قال : « لا يُشاركه فيه مُشارِك ، فَيَكِلُ شركته إليه » ، فلسان الحال يقول لمن جعل الرب تعالى وكيله : في ماذا وكَّلتَ ربَّك ؟ أفي ما هو له وحده ؟ أو لك وحدك ؟ أو بينكما ؟ فالثاني والثالث ممتنع بتفرُّده بالملك وحده . والتوكيل في الأول ممتنع ، فكيف توكّله فيما ليس لك منه شيء ألبتة ؟!

فيقال : هاهنا أمران : توكُّل ، وتوكيل . فالتَّوكُّل : محض الاعتماد والثقة ، والسكون إلى مَنْ له الأمر كلُّه . وعِلْم العبد بتفرُّد الحقِّ تعالىٰ

وحده بملك الأشياء كلِّها ، وأنه ليس له مُشارِك في ذَرَّةٍ من ذرَّات الكون : من أقوىٰ أسباب توكُّلِهِ وأعظم دواعيه . فإذا تحقَّق ذلك علمًا ومعرفةً ، وباشر قلبه حالًا ، لم يجد بُدًّا من اعتماد قلبه على الحقِّ وحده وثقته به ، وسكونه إليه وحده ، وطمأنينته به وحده ؛ لعلمه أن حاجاته وفاقاته وضروراته ، وجميع مصالحه كلها ، بيده وَحْدَهُ لا بيدِ غيرِهِ ، فأين يَجِد قلبه مناصًا من التَّوكُّل بعد هذا ؟!

فَعِلَّة التوكل حينئذٍ : التفات قلبه إلى مَنْ ليس له شركة في ملك الحق ، ولا يملك مثقال ذرةٍ في السمٰوات ولا في الأرض . هذه علَّة توكُّلِهِ ، فهو يعمل على تخليص توكُّله من هذه العلّة .

نعم ، ومن علَّةٍ أُخرىٰ ، وهي رؤيةُ توكُّله ، فإنه التفاتٌ إلى عوالم نفسه .

وعلة ثالثة : وهي صَرْفه قوة توكُّله إلى شيءٍ : غيرُهُ أحبُّ إلى الله منه .

فهذه العِلَل الثلاث هي عللُ التوكيل .

وأمَّا التَّوكُّل : فليس المراد منه إلَّا مجرَّد التَّفْوِيض . وهو من أخصِّ مقامات العارفين ، كما كان النبي ﷺ يقول : « اللهم إني أسلمتُ نفسي إليك ، وَفَوَّضْتُ أمري إليك » . وقال تعالى عن مؤمن آل فرعون : ﴿ **وأُفوِّض أمري إلى الله إن الله بصيرٌ بالعباد** ﴾ فكان جزاء هذا التفويض قوله : ﴿ **فوقاه الله سيئاتِ ما مكروا** ﴾ [غافر : ٤٤ ، ٤٥] . فإن كان التَّوكُّل معلولًا بما ذكره ، فالتفويضُ أيضًا كذلك . وليس ، فليس .

ولولا أن الحق لله ورسوله ، وأن كل ما عدا الله ورسوله ، فمأخوذٌ من قوله ومتروك ، وهو عُرضة الوهم والخطأ ، لما اعترضْنا على من لا نلحق

غُبارهم ، ولا نجري معهم في مضمارهم ، ونراهم فوقنا في مقامات الإيمان ، ومنازل السائرين ، كالنجوم الدراري . ومن كان عنده علم فليُرشدنا إليه ، ومن رأى في كلامنا زيغًا ، أو نقصًا وخطأ ، فليُهدِ إلينا الصواب ، نشكر له سعيه ، ونقابله بالقبول والإذعان والانقياد والتسليم . والله أعلم ، وهو الموفِّق »[1] .

□ أعلى التَّوكُّل توكُّل الأنبياء وَوَرَثَتِهم □ في فتح بصائر القلوب

لا يستوي في شرفه وهمَّته مَنْ تَوكَّلَ على الله في رغيف ، ومن توكَّل على الله في نُصرة دينه .

فالتَّوكُّل على الله في معلومِ الرزق المضمون ، والاشتغال به عن التَّوكُّل في نصرة الحقّ والدِّين من أوْهَى المنازل . والناس بعدُ في التَّوكُّل على حَسَب هِمَمهم ومقاصدهم .

فأفضلُ التَّوكُّل : التّوكّل في الواجب – أعني واجب الحق ، وواجب الخلْق ، وواجب النفس – وأوسعه وأنْفَعُه : التَّوكُّل في التأثير في الخارج في مصلحةٍ دينية ، أو دفْع مفسدةٍ دينية ، وهو توكُّل الأنبياء في إقامة دين الله ودفْع فساد المفسدين في الأرض ، وهذا توكُّل ورثتهم .

توكل الخليلين : إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم :

في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : حسبنا الله ونعم الوكيل . قالها إبراهيم ﷺ ، حين أُلقي في النار ، وقالها محمد ﷺ حين قالوا

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٣٠ – ١٣٧ .

له : ﴿ **إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ [آل عمران : ١٧٣] .

إبراهيم الخليل الأنموذج المثالي للمتوكِّلين :

قال أبو يعقوب النهرجوري : « التّوكُّل على كمال الحقيقة وَقَعَ لإبراهيم خليل الرحمٰن في تلك الحال ، إلى أن قال لجبريل عليه السلام : أمَّا إليك فلا . لأنه غائب عن نفسه بالله ، فلم يَرَ مع الله غير الله ، وكان ذهابه بالله من الله إلى الله بلا واسطة وهو من عاليات التوحيد ، وإظهار القُدرة لنبيه إبراهيم عليه السلام » .

اعترضه وتعرَّض لحوائجه المَلَك ، حين قطع بَيْدَاءَ الهَوَىٰ وسَلَكَ ، فقال له بلسان الحال : مَعِي مَنْ مَلَك ، إيَّاك والتعريض بما ليس لَك ، فلمَّا لم يتعلَّق بخلْقٍ دون الله إذ أُضيم ﴿ **قُلنا يا نارُ كُوني بردًا وسلامًا علىٰ إبراهيم** ﴾ [الأنبياء : ٦٩] .

تعرّضت له الأمْلاك فكفَّها كَفّا ، فلمَّا رآه ربُّه لا يمدُّ إلى غيره كَفّا ، مَدَحَه ويكفي في مدْحه له ﴿ **الذي وفَّىٰ** ﴾ [النجم : ٣٧] ، واجتمع الخلائق صَفّا ، ينظرون مَنْ صَفَّى ، فلمَّا أتى ربَّهُ بقلبٍ سليم ، قال تعالىٰ : ﴿ **قُلْنا يا نار كوني بردًا وسلامًا على إبراهيم** ﴾ .

تنحّ يا جبريل، فما ذا موضعُ زحمة ، وخلّني وخليلي فإليه الرحمة ، وهل بذلت له إلَّا لحمة تَبْلى أو شحْمة ، فلمَّا وطَّنَ نَفْسَه علىٰ أن يصير فحمة ، وحُوشي من ذلك الكريم ﴿ **قُلنا يا نار كوني بَرْدًا وسلامًا على إبراهيم** ﴾ .

وعلىٰ طريقة الهِمَّة العالية في التَّوكُّل ، سار رَكْبُ النبيين صلوات الله وسلامه عليهم .

منـارة التَّـوكُّل :

توكُّل نبينا ﷺ ، درسٌ عظيم من أُحُد :

قبل الخروج لأُحدٍ شاور رسول الله ﷺ أصحابه ، وبعد الشورىٰ كان الدرس الرباني النبوي للأُمَّة : ﴿ **فإذا عزمت فتوكَّل علىٰ الله إن الله يحب المتوكلين** ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . التّوكُّل على الله وإسلام النفس لقدره . والتوكل على الله خلَّة يحبها الله ويحب أهلها ، وهي الخلة التي ينبغي أن يحرص عليها المؤمنون ، بل هي التي تميِّز المؤمنين .

« والتوكل على الله ، ورَدُّ الأمر إليه في النهاية ، هو خطُّ التوازن الأخير في التَّصور الإسلامي وفي الحياة الإسلامية ، وهو التَّعامُل مع الحقيقة الكبيرة : حقيقة أن مردّ الأمر كلّه لله ، وأن الله فعّال لما يريد .

لقد كان هذا درسًا من دروس « أُحُد » الكبار .. هو رصيد الأُمَّة المسلمة في أجيالها كلِّها ، وليس رصيد جيلٍ بعينه في زمن من الأزمان .

ولتقرير حقيقة التَّوكُّل على الله وإقامتها على أصولها الثابتة ، يمضي السياق فيقـرِّر أن القوة في النصر والخـذلان ، هي قوة الله ، فعندها يُلتمس النصر ، ومنها تُتَّقىٰ الهزيمة ، وإليها يكون التَّوجُّه ، وعليها يكون التَّوكُّل .

﴿ **إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذي ينصركم من بعده وعلىٰ الله فليتوكّل المتوكِّلُون** ﴾ [آل عمران : ١٦٠] .

وبذلك يخلُص تصور المسلم من التماس شيءٍ من عند غير الله ، ويتصل قلبه مباشرةً بالله ، فينفض يده من كلِّ الأشباح الزائفة ، والأسباب الباطلة للنُّصرة والحماية والالتجاء ؛ ويتوكَّل على الله وحده في إحداث النتائج ، وتحقيق المصاير ، وتدبير الأمر بحكمته،وتقبُّل ما يجيء به قدر الله في اطمئنانٍ ، أيًّا كان .

إنه التوازن العجيب الذي لا يعرفه القلب البشري إلّا في الإسلام »[١].

الرسول ﷺ يُعلِّم أصحابه الدرس الثاني بعد أحد :
التّوكّل أبهَى صُوَر العقيدة :

قال تعالىٰ : ﴿ **ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ * ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ * فَٱنقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا رِضْوَانَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ** ﴾ [آل عمران : ١٧٢ - ١٧٤] .

لله ما أحلىٰ هذا الدرس : كان يوم « أُحُد » يوم السبت النصف من شوال ، فلمَّا كان الغد من يوم الأحد لست عشرة ليلة مضت من شوال ، أذَّن مؤذِّن رسول الله ﷺ في الناس يطلب العدوّ ، وأذّن مؤذّنه أن لا يخرجنّ معنا أحدٌ إلَّا من حضر يومنا بالأمس . دعاهم الرسول ﷺ إلى الخروج معه كرَّةً أُخرىٰ غداة المعركة المريرة ، وهم مثخنون بالجراح ، وهم ناجون بشقِّ الأنفس من الموت أمس في المعركة ، وهم لم ينسوا بعد هوْل الدَّعْكة ومرارة الهزيمة وشدَّة الكرب ، وقد فقدوا من أعزَّائهم من فقدوا ، فقلّ عَدَدُهم ، فوق ما هم مثخنون بالجراح ! لقد دعاهم الرسول ﷺ ، ودعاهم وحدهم ، وكانت هذه الدعوة وما تلاها من استجابةٍ ، تحمِلُ إيحاءاتٍ شتَّى ، وتُومئ إلى حقائق كبرىٰ ؛ لعلَّ رسول الله ﷺ شاء أن يُشْعر المسلمين ، وأن يُشعر الدنيا كلّها من ورائهم ، بقيام هذه الحقيقة الجديدة التي وُجدت في هذه الأرض ... حقيقة أن هناك عقيدةً هي كلّ شيء في نفوس أصحابها ، ليس لهم من أربٍ في الدنيا غيرها ، وليس لهم من غاية في حياتهم

---

(١) الظلال ١ / ٥٠٣ - ٥٠٤ بتصرف .

سواها ، عقيدة يعيشون لها وحدها ، فلا يبقى لهم في أنفسهم شيء بعدها ، ولا يستبقون هم لأنفسهم بقيةً في أنفسهم لا يبذلونها لها ، ولا يُقدِّمونها فداها .

لقد كان هذا أمرًا جديدًا في هذه الأرض في ذلك الحين ، ولم يكن بُدٌّ أن تشعر الأرض كلها - بعد أن يشعر المؤمنون - بقيام هذا الأمر الجديد ، وبوجود هذه الحقيقة الكبيرة . ولم يكن أقوى في التعبير عن ميلاد هذه الحقيقة من خروج هؤلاء الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح ، ومن خروجهم بهذه الصورة الناصعة الرائعة الهائلة : صورة التَّوكُّل على الله وحده ، وعدم المُبالاة بمقالة الناس وتخويفهم لهم من جمْع قريشٍ لهم - كما أبلغهم رُسُل أبي سفيان - وكما هوَّل المنافقون في أمر قريش . هذه الصورة الرائعة الهائلة ، كانت إعلانًا قويًّا عن ميلاد هذه الحقيقة الكبيرة ، وكان هذا بعض ما تُشير إليه الخُطَّة النبويّة الحكيمة . بهذا يسجل الله لهم في كتابه الخالد ، وفي كلامه الذي تتجاوب به جوانب الكون كله ، صورتهم هذه ، وموقفهم هذا ، وهي صورة رفيعة ، وهو موقفٌ كريم لنفوسٍ كبيرة لا تعرف إلَّا الله وكيلًا ، وترضى به وحده وتكتفي ، وتزداد إيمانًا به في ساعة الشِّدَّة ، وتقول في مواجهة تخويف الناس لهم بالناس : ﴿ **حسبُنا الله ونعم الوكيل** ﴾ [آل عمران : ١٧٣] . هذا هو الدرس الجميل العالي ، الذي علَّمه سيِّد المتوكِّلين لأصحابه ، وأخرجوه هم إلى عالم الواقع .

أنبياء الله قِمَمٌ عالية في التَّوكُّل :

قال الله تعالى : ﴿ **قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ** ﴾ [إبراهيم : ١١] .

يطلقها الرسل حقيقة دائمة ... فعلى الله وحده يتوكّل المؤمن ، لا يلتفت قلبه إلى سواه ، ولا يرجو عونًا إلَّا منه ، ولا يرتكن إلا إلى حماه . ثم يواجهون الطغيان بالإيمان ، ويواجهون الأذى بالثبات .

﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [إبراهيم : ١٢] .

إنها كلمة المُطمئِنّ إلى موقفه وطريقه ، المالئ يديه من وليِّه وناصره ، المؤمن بأن الله الذي يهدي السبيل لا بدّ أن ينصر ويعين ، وماذا يهمّ حتى ولو لم يتمّ في الحياة الدنيا نصرٌ ، إذا كان العبد قد ضمن هداية السبيل والقلب الذي يحسّ بأن عناية الله سبحانه تقود خطاه ، وتهديه السبيل ، هو قلب موصول بالله لا يخطئ الشعور بألوهيته القاهرة المسيطرة ، وهو شعور لا مجال معه للتَّردُّد في المضيّ في الطريق ، أيًّا كانت العقبات في الطريق ، وأيًّا كانت قوى الطاغوت التي تتربَّص في هذا الطريق ، ومن ثَمَّ هذا الرَّبْط في ردّ الرسل – صلوات الله وسلامه عليهم – بين شعورهم بهداية الله لهم ، وبين توكُّلهم عليه في مواجهة التهديد السافر من الطواغيت ، ثم إصرارهم على المضي في طريقهم في وجه هذا التهديد .

وهذه الحقيقة – حقيقة الارتباط في قلب المؤمن بين شعوره بهداية الله ، وبين بديهيّة التّوكُّل عليه – لا تستشعرها إلا القلوب التي تُزاول الحركة في مواجهة الطواغيت ، والتي تستشعر في أعماقها رحمته وعنايته وهي تفتح لها كُوَى النور ، فتبصر الآفاق المشرقة ، وتستروح أنسام الإيمان والمعرفة ، وتحسّ الأُنس والقربى .. وحينئذٍ لا تحفل بما يتوعَّدها به طواغيت الأرض ، ولا تملك أن تستجيب للإغراء ولا للتهديد ، وهي تحتقر طواغيت الأرض وما في أيديهم من وسائل البطش والتنكيل .. وماذا يخاف القلب الموصول بالله على هذا النحو ؟! وماذا يُخيفه من أولئك العبيد ؟!

﴿ **وما لنا ألَّا نتوكَّل على الله وقد هدانا سُبُلنا ولنصبرنَّ علىٰ ما آذيتمـونا** ﴾ لنصـبرنّ ، لا نتزحزح ولا نضعف ولا نتراجع ولا نَهِـن ، ولا نتزعزع ولا نشُكُّ ، ولا نُفرِّط ولا نحيد ﴿ **وعلىٰ الله فليتوكّل المتوكلون** ﴾ [إبراهيم : ١٢] .

مشهد باهر في علوّ الهمَّة في التَّوكُّل لنبي الله هود ﷺ :

بعد أن قصَّ الله ما بذل هود من النُّصح لقومه ، وبعد أن تودَّد إليهم وهو يدعوهم غاية التَّودُّد ، يسجِّل القرآن موقفًا باهرًا في الاستعلاء بالحق والثقة بالله ، وتحدِّيًا سافرًا وحسمًا كاملًا ومُفاصَلَةً ، قَذَفَ بها في وجوه قومه ، فقال تعالىٰ : ﴿ .. **قال إني أُشهد الله واشهدوا أني بريءٌ مما تشركون * من دونه فكيدوني جميعًا ثم لا تُنظرون * إني توكَّلت على الله ربي وربّكم ما من دابَّةٍ إلَّا هو آخذ بناصيتها إن ربي علىٰ صراط مستقيم** ﴾ [هود : ٥٤ – ٥٥].

إن أصحاب الدعوة إلى الله في كلِّ مكانٍ وفي كلّ زمانٍ ، في حاجةٍ إلى أن يقفوا طويلًا أمام هذا المشهد الباهر ؛ رجل واحد ، لم يؤمن معه إلا قليل ، يواجه أعتىٰ أهل الأرض ، وأغنىٰ أهل الأرض ، وأكثر أهل الأرض حضارةً ماديَّةً في زمانهم : ﴿ **أتبنون بكلِّ ريعٍ آية تعبثون * وتتَّخذون مصانع لعلكم تخلدون * وإذا بطشتم بطشتم جبارين** ﴾ [الشعراء : ١٢٨ – ١٣٠] .

هؤلاء هم الذين واجههم هود – عليه السلام – هذه المواجهة ، في شجاعة المؤمن واستعلائه وثقته واطمئنانه ، وفاصَلَهم هذه المُفَاصَلَة الحاسمة الكاملة – وهم قومه – وتحدَّاهم أن يكيدوه بلا إمهال ، وأن يفعلوا ما في وسعهم ، فلا يُباليهم بحال !

لقد وقف هود هذه الوقفة الباهرة؛ لأنه يجد الفهم كلَّ الفهم لمعنىٰ التَّوكُّل في أبهىٰ صُوَره ، ويُوقن أن أولئك الجبَّارين العُتاة المتمتِّعين المتبطِّرين ،

إنما هم من الدواب ! وهو مُستيقن أنه ما من دابّةٍ ، إلا وربُّه آخِذٌ بناصيتها ، ففيم يحفل إذن هؤلاء الدوابّ ؟! وأن ربَّه هو الذي أعطاهم ما أعطاهم للابتلاء لا لمطلق العطاء ، وأن ربَّه يملك أن يذهب بهم ويستخلف غيرهم إذا شاء ، ولا يضرّونه شيئًا ، ولا يردُّون له قضاءً ، ففيم إذن يَهُولُه شيء ممَّا هم فيه ، وربّه هو الذي يُعطي ويسلب حين يشاء كيف شاء .. عموم قدرة ، وكمال ملك ، وتمام حكمة وعدل وإحسان ، في خلقه ، وأمره ونهيه ، وثوابه وعقابه ، وقضائه وقدره ، ومنعه وعطائه ، وعافيته وبلائه ، وإفقاره وإعزازه ، وإذلاله وإنعامه ، وانتقامه وثوابه ، وإحيائه وإماتته . وهذه المعرفة بالله لا تكون إلا للأنبياء وورثتهم .. وعلىٰ قدْر هذه المعرفة يكون قدْر التَّوكُّل في قلب العبد .

إن أصحاب الدعوة إلى الله لا بُدّ أن يجدوا هذه الحقيقة في نفوسهم علىٰ هذا النحو ، حتىٰ يملكوا أن يقفوا بإيمانهم في استعلاء أمام قُوَى الجاهلية الطاغية من حولهم ، وهم مستيقنون أن ربَّهم آخِذٌ بناصية كلِّ دابَّة ، وأن الناس - كل الناس - إن هم إلا دوابّ من الدوابّ !

ويوم تتمّ هذه المفاصلة ، يتحقَّق وعد الله بالنصر لأوليائه ، والتدمير علىٰ أعدائه ، في صورةٍ من الصور التي قد تخطر وقد لا تخطر على البال .

وخطيبُ الأنبياءِ شُعيب ﷺ قمَّةٌ سامية :

قال تعالىٰ على لسانه : ﴿ **قال يا قوم أرأيتم إن كنت علىٰ بينة من ربي ورزقني منه رزقًا حسنًا وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلَّا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكّلتُ وإليه أُنيب** ﴾ [هود : ٨٨] .

فخطيب الأنبياء شعيب ﷺ لا يبغي كسبًا شخصيًّا ، إنما يريد إصلاحًا

عامًّا للمجتمع ، ويتوكَّل على الله في المقصد الشريف والغاية النبيلة العظيمة .

أُمّ إسماعيل وعلوّ توكُّلها :

إذَنْ لا يُضَيِّعنا :

في صحيح البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : جاء إبراهيم بأُمِّ إسماعيل وبابنها إسماعيل ، حتى وضعها عند البيت ، عند دَوْحَةٍ فوق زمزم في أعلىٰ المسجـد ، وليس بمكة يومئذٍ أحـد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جرابًا فيه تمر ، وسقاءً فيه ماء ، ثم قفَّىٰ[1] إبراهيم منطلقًا ، فَتَبِعَتْه أُمُّ إسماعيل فقالت : يا إبراهيم ، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي ، الذي ليس فيه إنسٌ ولا شيء ؟ فقالت له : آلله أمرك بهذا ؟ قال : نعم . قالت : إذن لا يُضيِّعنا . ثم رجعتْ .

إيه يا جبال فاران ... موضع مكة الآن ، حدِّثي عن توكُّل أم إسماعيل وتفويضها في أعلىٰ وأغلىٰ قمم التّوكّل وصوره . وفي سمع الأيام يبقىٰ صوت أم إسماعيل : « إذن لا يُضيِّعنا » وهي لا ترىٰ إلّا حَـرَّةً ملتهبة ، وعطشًا منهكًا ، وجهدًا يهدّ ، ورضيعًا يتلوَّى .

وقالتْها لجبريل حين قال لها : مَنْ أنتِ ؟ قالت : أنا هاجر . أو : أُمّ ولد إبراهيم . قال : فإلى من وكلكما ؟ قالت : إلى الله . قال : وكلكما إلى كافٍ .

موقف أم إسماعيل وتوكُّلها يعجز عنه الرجال ... لكأن كل قطرةٍ من هذا الماء تحكي قصةً تُروىٰ ، وتحوي ظلًّا وديعًا لطيفًا يُروِّي هجير دنيانا بثمرة توكُّل أم إسماعيل . وصدق رسول الله ﷺ حين قال ، عن السعي

---

(١) أي ولّى راجعًا .

بين الصفا والمروة : « هذا ما أورثتكموه أمُّ إسماعيل » .. ورث الصحابة منها أعلىٰ التّوكّل .

هِمَمُ الصحابة في التَّوكُّل أعلىٰ الهِمَم :

قال ابن القيم عن الصحابة : « هم أُولو التَّوكُّل حقًّا ، وأكمل المتوكِّلين بعدهم : هو من اشتمَّ رائحة توكُّلهم من مسيرةٍ بعيدة ، أو لحق أثرًا من غُبارهم . فحالُ النبي ﷺ وحال أصحابه محكُّ الأحوال وميزانها ، بها يُعلم صحيحها من سقيمها ؛ فإن هممهم كانت في التّوكّل أعلىٰ مِنْ هم مَنْ بَعْدَهم ، فإن توكُّلهم كان في فتح بصائر القلوب ، وأن يُعبد الله في جميع البلاد ، وأن يُوحِّده جميع العباد ، وأن تشرق شموس الدين الحق على قلوب العباد ، فَمَلَئُوا بذلك التوكُّلِ القلوبَ هُدًى وإيمانًا ، وفتحوا بلاد الكفر ، وجعلوها دار إيمانٍ ، وهبَّتْ رياحُ روح نسماتِ التّوكّل علىٰ قلوب أتباعهم ، فملأتْها يقينًا وإيمانًا . فكانت همم الصحابة - رضي الله عنهم - أعلىٰ وأجلّ من أن يصرف أحَدُهم قوةَ توكُّلِه واعتماده على الله في شيءٍ يحصُل بأدنىٰ حيلةٍ وسعي ، فيجعله نصب عينيه ، ويحمل عليه قويّ توكُّله »[1] .

عكاشة بن محصن المتوكِّل حقًّا :

عن هشيم بن بشير ، عن حصين قال : كنا جلوسًا مع سعيد بن جبير ذات غداةٍ ، فقال لنا : أيّكم رأى الكوكب الذي انقضَّ البارحة[2] ؟ قال :

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٣٥ .

(٢) فائدة : أخرج أحمد والحاكم بسندٍ صحيح ، عن محمد بن سيرين قال : كُنَّا مع أبي قتادة على ظهر بيتنا ، فرأىٰ كوكبًا انقضَّ فنظروا إليه ، فقال أبو قتادة : إنَّا قد نُهينا أن نُتبعه أبصارنا . صححه الحاكم ووافقه الذهبي . وقال الهيثمي في المجمع : ورجاله رجال الصحيح . اهـ . وقوله : « نُهينا » مرفوع إلى =

قلت : أنا. قال : ثم استدركت نفسي ، فقلت : إن سهري لم يكن في صلاةٍ ، ولكنْ لدغتني عقربٌ فسهرتُ . فقال سعيد بن جبير : كيف صنعتَ ؟ قلت : صنعت أنِ استرقيتُ . قال : وما حملك على ذلك ؟، قال : قلت : حديثٌ حدَّثنيه الشعبي . قال : وما حدَّثكم ؟ قال : قلت : حدثنا الشعبي ، عن بريدة بن الحصيب الأسلمي ، أنه قال : لا رُقيَة إلَّا من عينٍ أو حُمة[١] . فقال سعيد بن جبير : قد أحسن من انتهىٰ إلى ما سمع . ثم قال سعيد ابن جبير : حدَّثنا ابن عباس ، أن رسول الله ﷺ قال : « عُرِضَت عليَّ الأُمم[٢] ، فرأيت النبي يمرُّ ومعه الرَّهط ، والنبي يمرّ ومعه الثلاثة والاثنان ، والنبي يمرّ ومعه الرجل الواحد ، والنبي يمرّ وليس معه أحد ، إلى أن رُفِعَ لي سوادٌ عظيم فقلت : هذه أُمَّتي . قيل : ليس بأُمّتك ، هذا موسىٰ وقومه . إلى أن رفع لي سواد عظيم.قد سدَّ الأفق ، فقيل : هذه أُمّتك ، ومعهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب » . قال : ثم دخل النبي - ﷺ - فخضنا في أولئك السبعين ، وجعلنا نقول : من الذين يدخلون الجنة بغير حسابٍ ولا عذاب ؟ أهم الذين صحبوا النبي ﷺ ؟ أم هم الذين وُلدوا في الإسلام ولم يُشركوا بالله شيئًا ؟ إلى أن خرج النبي ﷺ فقال : « ما هذا الذي كنتم تخوضون فيه ؟ » . قال : فأخبروه ،

= النبي ﷺ على الصحيح الذي قاله الجمهور . انظر التوكل على الله عز وجل ، ابن أبي الدنيا صـ ٧٣ هامش (١) .

(١) الحُمَة : بالتخفيف : السُّم ، وقد يُشدَّد ، وقد روي هذا الأثر مرفوعًا عن النبي ﷺ من حديث عمران بن حصين بسندٍ جيِّد . انظر التوكل ، ابن أبي الدنيا صـ ٧٤ هامش (٢) .

(٢) في رواية الترمذي والنسائي - وهي صحيحة - أن عرْض الأمم كان ليلة الإسراء . التوكل ، ابن أبي الدنيا صـ ٧٤ ، هامش (٣) .

فقال : « هم الذين لا يَسْتَرْقُون ولا يكتوون ، وعلى ربِّهم يتوكَّلُون » .
فقام عكاشة بن محصن فقال : أنا منهم يا رسول الله ؟ قال : « أنت منهم » .
وقام رجل آخر من المهاجرين فقال : أنا منهم يا رسول الله ؟ قال :
« سبقك بها عكاشة »[1].

ما أبقيتَ لأهلك يا أبا بكر ؟ قال : أبقيت لهم الله ورسوله :

سُئل الأستاذ أبو سهل محمد بن سليمان ، عن قول النبي ﷺ لأبي بكر الصديق رضي الله عنه : « ما أبقيتَ لأهلك ؟ » قال : الله ورسوله .

قال : هو تجريد لله بالكليَّة ، وإدخال الرسول ﷺ فيه ؛ لمكان الإيمان وحقيقة التعلُّق بالسبب في الوصول إلى المسبّب ، لا على أن إليه انقطاعه . فإذا كمل توكُّل المتوكِّل ، وتحقَّق فيه ، أخبر إن شاء عن السبب ، وإن شاء عن المسبب ؛ لأن الكلَّ عنده واحدٌ ؛ لتعلُّق الفروع في الكلِّ بالأصل .

* * *

(١) أخرجه أحمد ، والبخاري ، ومن طريقه البغوي في شرح السنة ، ومسلم ، والترمذي وقال : حسن صحيح . والنسائي في الكبرى - كما في تحفة الأشراف - والطبراني في الكبير ، والبيهقي في الشعب من طرقٍ عن حصين بن عبد الرحمٰن به ، واللفظ لأحمد ومسلم والبيهقي ، واقتصر الباقون على المرفوع منه .
وأخرجه الطيالسي ومن طريقه القشيري في الرسالة ، وأحمد ، وابن حبان بسند حسن ، وحسنه العراقي في تخريج الإحياء .
وأخرجه عبد الرزاق في المصنف ، والحاكم وصححه وأقره الذهبي ، وأبو نعيم في الحلية .
وصححه ابن كثير في تفسيره ، والحافظ في الفتح ، وقال الهيثمي في المجمع : وأحد أسانيد أحمد والبزار رجاله رجال الصحيح . انظر التوكل ، ابن أبي الدنيا ، هامش ٣٩ صـ ٧٣ ، ٧٤ ، صـ ٧٣ - ٧٦ .

عمر بن الخطاب يوضّح الطريق :

عن معاوية بن قرَّة ، أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - لقي ناسًا من أهل اليمن فقال : من أنتم ؟ قالوا : نحن المتوكِّلون . قال : بل أنتم المُتَّكِلُونَ ، إنما المتوكِّل من يُلقي حَبَّهُ في الأرض ويتوكّل على الله عزَّ وجل[1] .

عن المعرور بن سويد ، عن عمر رضي الله عنه ، أنه قال : يا معشر القُرَّاء ، ارفعوا رؤوسكم ، ما أوضح الطريق ، فاستبقوا الخيرات ، ولا تكونوا كَلًّا على المسلمين[2] .

عبد الله بن مسعود رضي الله عنه :

عن مغيرة بن سعد بن الأخرم ، عن أبيه ، عن عبد الله بن مسعود قال : والذي لا إلـٰه غيره ، ما يضرُّ عبدًا يصبح على الإسلام ويُمسي عليه ، ماذا أصابه من الدنيا[3] .

عبد الله بن سلام وسلمان :

عن سعيد بن المسيب ، قال : التقى عبد الله بن سلام وسلمان ، فقال أحدهما لصاحبه : إن متَّ قبلي فالقني فأخبرني ما لقيتَ من ربِّك ، وإن أنا متُّ قبلك لقيتُك فأخبرتُك . فقال أحدهما للآخر : أوَ يلقى الأموات الأحياء ؟! قال : نعم ، أرواحهم تذهب في الجنة حيث شاءتْ . قال : فمات فلان فلقيه في المنام فقال : توكَّل وأبْشِر ، فلم أرَ مِثْلَ التَّوكُّل قطُّ ، توكَّلْ وأبشر ، فلم أرَ مثل التّوكّل قط[4] .

---

(١) التوكل لابن أبي الدنيا صـ ٤٨ . وإسناده صحيح . انظر تحقيق الدوسري .
(٢) إسناده حسن . ثلاث شعب من الجامع لشعب الإيمان ٢ / ١٣٦ .
(٣) إسناده صحيح . الجامع لشعب الإيمان .
(٤) إسناده صحيح . التوكل لابن أبي الدنيا صـ ٤٨ .

قال سعيد بن جبير : التَّوكُّل على الله - عز وجلّ - جماعُ الإيمان .

أبو حازم سلمة بن دينار :

قال رحمه الله : « وجدت الدنيا شيئين : شيء هو لي ، وشيء هو لغيري . فأمَّا الذي هو لي ، فلو طلبتُه قبل أجله بحيل السمٰوات والأرض ، لم أقدر عليه ، وأمَّا الذي هو لغيري ، فلم أُصِبْه فيما مضىٰ ، ولم أرجُهُ فيما بقي ، يُمنع رزقي من غيري ، كما يُمنع رزق غيري مني ؟ ففي أي هذين أُفني عمري ؟! .

وقيل له ، رحمه الله : ما مالُك ؟ قال:خير مالي ثقتي بالله تعالىٰ ، وإياسي مما في أيدي الناس »[١].

عامر بن عبد قيس :

قال عامر رحمه الله : « ثلاث آياتٍ من كتاب الله عز وجل اكتفيتُ بهنَّ عن جميع الخلائق ؛ أوَّلُهن : ﴿ **وإن يمسسك الله بضرٍّ فلا كاشف له إلا هو وإن يُرِدك بخيرٍ فلا رادَّ لفضله** ﴾ [يونس : ١٠٧] .

والآية الثانية : ﴿ **ما يفتح الله للناس من رحمةٍ فلا مُمسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم** ﴾ [فاطر : ٢] .

والثالثة : ﴿ **وما من دابَّة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرَّها ومستودعها كلٌّ في كتابٍ مبين** ﴾[٢] [هود : ٦] .

أبو الصهباء صلة بن أشيم :

قال صلة : طلبتُ الرزق مظانّه ، فأعياني إلَّا رزق يوم بيوم ، فعلمتُ

(١،٢) الجامع لشعب الإيمان .

أنه خير لي ، وإن امرأً جعل رزقه يومًا بيوم ، فلم يعلم أنه خيرٌ له لعاجز الرَّأي .

قال الحليمي رحمه الله : وفي المسألة وجه ثالث ؛ وهو أن من كان قويّ العزم ، يقدر على تجريد الصبر وترك مجاوزته إلَّا إلى الدعاء ، وكان إذا تصبّر مدَّةً فلم ينكشف عنه ضرُّه ؛ لم يَعُد إلى التَّسبُّب ولم يندم على اختياره التَّصبُّر عليه ، أو لم يكن في عامَّة أوقاته شاكًّا في أن الصبر الذي آثره أعْوَدُ عليه ، أو التَّسبُّب ؛ فالصبر له أفْضَل . ومن كان ضعيف العزم ، وكان لا يصبر إلَّا متكلِّفًا ، ولا يزال - خلالَ الصبر - شاكًّا في أن ذلك كان أوْلَى به ، أو التَّسبُّب ، وكان إذا صبر وقتًا ، لم يثبت على صبره وعاد إلى التَّسبُّب ؛ فينبغي له أن يكون مع المتسبِّبين ، وجعْل نظير ذلك الاستكثار من نوافل الصيام والصلاة ، إذا لم يتبرَّم بها ولم يستثقلها . وعلى هذا أكثر أهل المعرفة .

الحسن البصري :

عن معتمر بن سليمان ، عن عبد الجليل قال : سمعت الحسن يقول : إن من توكُّل العبد أن يكون الله - عز وجل - هو ثقته .

وعن أبي رجاء العطاردي قال : سُئل الحسن عن التَّوكُّل ، فقال : الرضا عن الله عز وجل .

وقال رحمه الله : ابن آدم ، لا تحملْ همَّ سنةٍ على يومٍ ، كفى يومك بما فيه ، فإن تكُن السنة من عمرك ، يأتِكَ الله فيها برزقك ، وإلَّا تكُن من عمرك ، فأراك تطلب ما ليس لك .

سفيان الثوري :

وعن سفيان الثوري : ﴿ **إنه ليس له سلطانٌ على الذين آمنوا وعلى**

ربِّهم يتوكَّلُون ﴾ [النحل : ٩٩] ، قال : أن يحملهم على ذنبٍ لا يُغفر[١].

إبراهيم بن أدهم :

قال رحمه الله : لا تجعل فيما بينك وبين الله عليك منعمًا ، وَاعْدُد النعمة عليك من غير الله مغرمًا .

قال علي بن بكّار : شكا رجل إلى إبراهيم بن أدهم كثرة عياله ، فقال له إبراهيم : يا أخي ، انظر كلّ من في منزلك ليس رزقه على الله ، فحوِّلْهُ إلى منزلي .

الفضيل بن عياض :

قال الفضيل : التوكُّل قوامُ العبادة .

أخي ، قد قال الجواد عزَّ وجل : ﴿ **وفي السماء رزقكم وما توعدون** ﴾ [الذاريات : ٢٢] ، ثم أقسم على ذلك : ﴿ **فوربِّ السماء والأرض إنه لحقٌّ مِثْلَ ما أنكم تنطقون** ﴾ [الذاريات : ٢٣] . فيا سبحان الله ! من ذا الذي أغضب الجليل حتى حلف ؟! أفلم يُصدِّقوه - سبحانه - بقوله حتى ألجَئُوه إلى اليمين ؟!.

طلق بن حبيب :

وكان طلق بن حبيب يقول : أسألك خوف العالمين بك ، وعلمَ الخائفين لك ، وتوكُّل الموقنين بك ، ويقين المتوكِّلين عليك ، وإنابة المُخبتين إليك ، وإخبات المنيبين إليك ، وصبر الشاكرين لك ، وشكر الصابرين لك وإلحاقًا بالأحياء المرزوقين عندك[٢].

---

(١) التوكل لابن أبي الدنيا صـ ٦٠ .

(٢) التوكل . لابن أبي الدنيا صـ ٦٩ .

معروف الكرخيّ :

عن حماد بن محمد بن المبارك ، قال : قال رجل لمعروف - يعني معروفًا الكرخي - : أوصني . قال : توكَّل على الله عز وجل حتى يكون جليسَك وأنيسَك وموضعَ شكواك ، وأكثِرْ ذكْر الموت حتى لا يكون لك جليس غيره ، واعلم أن الشفاء لما نزل بك كتمانه ، وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرُّونك ولا يُعطونك ولا يمنعونك[1].

بشر بن الحارث :

قال رحمه الله : أما تستحي أن تطلب الدنيا ممَّن طَلَبَ الدنيا ؟! اطلب الدنيا ممَّن بيده الدنيا[2].

يحيٰى بن معاذ الرازي :

قال رحمه الله : مَنْ طلب الفضل من غير ذي الفضل ، غرم ، وإن ذا الفضل هو الله عز وجل : ﴿ **إن الله لذو فضل على الناس** ﴾ [البقرة : ٢٤٣][3].

أحمد بن حنبل رحمه الله :

قال الإمام أحمد رحمه الله تعالىٰ : وجملة التوكل : تفويضُ الأمر إلى الله جلَّ ثناؤه والثقة به[4].

سليمان الخوَّاص :

عن أبي قدامة الرَّمْلي قال : قرأ رجلٌ هذه الآية : ﴿ **وتوكَّلْ على الحيِّ**

(١) التوكل . لابن أبي الدنيا صـ ٧١ .

(٢،٣) الجامع لشعب الإيمان .

(٤) كتاب : ثلاث شعب من الجامع لشعب الإيمان ٢ / ٧٢ .

الذي لا يموت وسَبِّحْ بحمده وكفىٰ به بذنوب عباده خبيرًا ﴾ [الفرقان : ٥٨] . فأقبل عليَّ سليمانُ الخَوَّاص فقال : يا أبا قدامة ، ما ينبغي لعبدٍ بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحدٍ بعد الله في أمره ، ثم قال : انظر كيف قال الله - تبارك وتعالىٰ - : ﴿ وتوكلْ على الحيِّ الذي لا يموت ﴾ فأعلمك أنه لا يموت ، وأنَّ جميع خلقه يموتون ، ثم أمرك بعبادته فقال : ﴿ وسبحْ بحمده ﴾ ثم أخبرك بأنه خبير بصير ، ثم قال : والله يا أبا قدامة ، لو عَامَل عبدُ اللهَ بحُسْن التوكل وصِدْق النية له بطاعته ؛ لاحتاجت إليه الأمراء فمن دُونَهم ، فكيف يكون هذا محتاجًا ومَوْئله ومَلْجَؤُهُ إلى الغني الحميد ؟![1] .

جوامع الغِنَىٰ في التوكل :

اجتمع حذيفة المرعشي وسليمان الخواص ويوسف بن أسباط ، فتذاكروا الفقر والغِنى ، وسليمان ساكت ، فقال بعضهم: الغَنيُّ: من كان له بيت يُكِنُّهُ ، وثوبٌ يستره ، وسداد من عيش يكفُّه عن فضول الدنيا . وقال بعضهم : الغنيُّ: من لم يَحْتَجْ إلى الناس . فقيل لسليمان : ما تقول أنت يا أبا أيوب ؟ فبكىٰ ثم قال : رأيت جوامع الغنىٰ في التوكل ، ورأيت جوامع الشَّرِّ في القنوط ، والغنيُّ حق الغنىٰ : من أسكن قلبه إلى الله من غناه يقينًا ، ومن معرفته توكُّلًا ، ومن عطائه وقسمته رضًا ، فذلك الغنيُّ حق الغنىٰ ، وإن أمسىٰ طاويًا ، وأصبح معوزًا . فبكىٰ القوم جميعًا من كلامه .

عن جعفر بن محمد الخلدي قال : « سمعت إبراهيم الخواص يقول : أدبُ التوكل ثلاثة أشياء : صحبة القافلة بالزَّاد ، والجلوس في الزَّوْرق بالزاد ، والجلوس في المجلس بالزاد »[2] .

---

(١) التوكل لابن أبي الدنيا صـ ٧٠ .

(٢) ثلاث شعب من الجامع ٢ / ١٦٩ .

وسُئل رحمه الله عن التوكل ، فأطرق ساعةً ثم قال : إذا كان المعطي هو المانع فمن يُعْطي ؟!

أبو يعقوب النهرجوري :

قال أبو يعقوب النهرجوري : « أدنىٰ التوكل تركُ الاختيار .

قال : ولا يتوكَّل على الله إلا من عُرف بالولاية والكلاية والكفاية . فلا تتعرَّضوا لأهل التَّوكُّل ، فإنهم صفوة الله وخاصَّته ؛ استضافوه فأضافهم ، ونزلوا عليه فأحسن نُزُلَهم ، وتوكَّلوا عليه فكفاهم ، فهم أغنياء بفقرهم ، وغيرهم فقراء بغناهم ، فمن أنكر التوكل على الله نُسب إلى قِلَّة العلم »[١] .

شقيق البلخي :

المتوكِّلُ علىٰ الله قد وَجَدَ الاسترواح :

قال شقيق رحمه الله : « لكل واحدٍ مقام ؛ فمتوكِّل على ماله ، ومتوكل على نفسه ، ومتوكل على لسانه ، ومتوكل على سيفه ، ومتوكل على سَلْطنته ، ومتوكل على الله عز وجل . فأما المتوكل على الله عز وجل فقد وجد الاسترواح ، نوَّه الله به ، ورفع قدره ، وقال : ﴿ **وتوكَّلْ علىٰ الحي الذي لا يموت** ... ﴾ الآية [الفرقان : ٥٨] ، وأما مَنْ كان مستروحًا إلى غيره ، يوشك أن ينقطع به فيشقىٰ »[٢] .

قال رحمه الله : التوكل طمأنينةُ القلب بموعود الله عز وجل .

* * *

---

(١) ثلاث شعب من الجامع ٢ / ١٨١ .

(٢) الجامع لشعب الإيمان .

حـاتم الأصَـمّ :

رِزْقِي لا يَأْكُلُه غَيْرِي :

قيل لحاتم الأصم : عَلَامَ بنيتَ أمرك هذا من التوكل ؟ قال : على أربع خلال : علمتُ أن رزقي لا يأكله غيري ، فلست أهتم به . وعلمت أن عملي لا يعمله غيري ، فأنا مشغولٌ به . وعلمت أن الموت يأتيني بغتةً ، فأنا أُبادِرُه . وعلمتُ أني بعين الله في كل حال ، فأنا مُسْتحٍ منه[1] .

قال رجل لحاتم الأصم : من أين تأكل ؟ فقال : ﴿ **ولله خزائن السمٰوات والأرض ولكنّ المنافقين لا يفقهون** ﴾ [المنافقون : ٧] .

الجُنيد رحمه الله :

قال رحمه الله : ليس التوكل الكَسْب ولا تَرْك الكسب ، التوكلُ الشيءُ في القلوب .

وقال : إنما هو سكون القلب إلى موعود الله عز وجل .

أبو عثمان الحِيري :

قال رحمه الله في مواعظه : « يا عَبْدَ اللهِ ، في ماذا تُتعب قلبك ، وتنازع إخوانك ، وتعادي على طلب الرِّئاسة والعز أَشْكالك وأَخْدَانك ، وتعمل في هلكة حَسَناتك بالحسد لمن هو فوقك ، كأنك لم تؤمن بما أخبر أنه يُعزُّ من يشاء ، ويُذلُّ من يشاء ، ويؤتي الملك من يشاء ، ويَنْزِعُ الملك ممن يشاء ، فاستعملِ العلمَ في ظاهرك ، إن كنت تاجرًا أو كاسبًا أو زارعًا ، وأَجْمِلْ في الطَّلب ، واترك الحرام والشبهات جميعًا ، فإن نفسًا لن تموت حتىٰ تستوفي رزقها وحظَّها من عِزِّها ورياستها ورزقها . لو هرب العبد من رزقه

---

(١) الجامع لشعب الإيمان .

لأدركه رزْقُه ، كما لو فرَّ من الموت لأدركه الموت . قال : واليقين لا يمنع المُوقنين من طلب الحظِّ الوافي من الدنيا ، وإنما يدل على تَرْك الفضول رضًا بالقليل ، وزهدًا في الكثير ، اتباعًا لرسول رب العالمين ﷺ ولأصحابه ؛ فإنهم أئمة المتوكِّلين والزَّاهدين ، مع ما وصفنا من الأَمْن بما لَكَ ، والإياس مما ليس لك ، وأنَّ ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ومن زعم أن اليقين يمنع طلب القوت والكفاف فقد جهل اليقين ، وخالف سنن السَّلف الصالحين ، فقد تقدَّم في ذلك - مع صدق التوكل - الأنبياء وأتباعهم ، وخلافهم خلاف الحق ، وموافقتهم موافقة الحق ، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم » .

البوشـنجي :

قال أبو الحسن علي بن أحمد البوشنجي ، لمَّا سُئِل عن التوكل : « التَّبرئة من حَوْلِك وقوتك ، وحولِ مِثْلك وقوة مثلك »[1] .

الكتـاني :

قال الكتاني : التوكل في الأصل اتِّباع العلم ، وفي الحقيقة استعمال اليقين .

أسـود بن سـالم :

الثِّقَةُ الوَرِع الفاضل . روى عن سفيان بن عيينة وحماد بن زيد . كان رحمه الله يشتمر ، فإذا أصاب نصف دانقٍ ، قام وانصرف .

ابن الفرغاني أبو بكر الواسطي :

سئل عن ماهية التَّوكُّل ، فقال : الصبر على طوارق المحن ، ثم التفويض ،

(١) ثلاث شعب من الجامع لشعب الإيمان للبيهقي صـ ١٧٣ تحقيق د / عبد الإله ابن سلمان الأحمدي .

ثم التسليم ، ثم الرضا ثم الثقة .

وأمَّا صدق التَّوكُّل : فهو صدق الفاقة والافتقار ؛ يعني إلى الله عز وجل .

أبو علي الرّوذباري ومرقاة التَّوكُّل :

قال رحمه الله : مرقاة التوكل ثلاث درجات :

الأول منها : إذا أُعطي شكر ، وإذا مُنِع صبر .

والثاني : المنع والعطاء عنده واحد .

والثالث : المنع مع الشكر أحبُّ إليه بعلمه باختياره ذلك له .

عبد الله بن إدريس بن يزيد :

قال : عجبتُ ممَّن ينقطع إلى رجلٍ ولا ينقطع إلى من له السمٰوات والأرض .

النهرجوري :

قال : المتوكِّلُ على الحقيقة والصِّحة قد رفع مُؤْنته عن الخلق، فلا يشكو ما به ، ولا يذُمُّ مَنْ منعه ؛ لأنه يرىٰ المَنْع والعطاء من الله عز وجل .

شميط بن عجلان :

قال رحمه الله : إن المؤمن يقول لنفسه : إنما هي ثلاثة أيام ، فقد مضىٰ أمس بما فيه ، وغدًا أملٌ لعلَّك لا تدركه ، إنك إن كنت من أهل غدٍ فإن غدًا يجيء برزقِ غدٍ ، دون غدٍ يومٌ وليلة ، تُخْترمُ فيها أنفسٌ كثيرة ، ولعلَّك المُخْتَرَم فيها ، كفىٰ كلّ يوم همَّه .

إبراهيم بن شيبان :

قال إبراهيم بن شيبان : حُسْن الظن بالله:هو الإياس عن كل شيءٍ

سوىٰ الله عز وجل .

السَّـرِيّ :

عن الجنيد بن محمد قال : سمعتُ السّرِّي يذمُّ الجلوس في المسجد ، ويقول : جعلوا مسجد الجامع حوانيتَ ليس لها أبواب .

سهل بن عبد الله التُّسْتَرِيّ :

قال سهل رحمه الله : التَّوكُّل أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميِّت بين يدي الغاسل يُقلِّبه كيف يريد .

يجول الغِنَى والعِزُّ في كلِّ موطنٍ ليستوطنا قلب المرء إن توكَّلا
وَمَنْ يتوكَّلْ كان مولاه حَسْبَهُ وكان له فيما يُحاول معقلَا
إذا رَضِيتْ نفسي بمقدور حظِّها تعالتْ وكانت أفضلَ الناس منزلَا[١]

عن عون بن عبد الله قال : بينا رجل في بستان بمصر ، في فتنة ابن الزبير ، مكتئبًا معه شيء ينكُت به في الأرض، إذ رفع رأسه فسنح[٢] له صاحب مسحاةٍ[٣] ، فقال له : يا هذا ، ما لي أراك مكتئبًا حزينًا ؟ قال : فكأنه ازدراه[٤] ، فقال : لا شيء . فقال صاحب المسحاة : أللدنيا ؟! فإن الدنيا عَرَضٌ حاضر ، يأكل منه البرُّ والفاجر ، والآخرة أجَلٌ صادق ، يحكم فيها ملكٌ قادر ، يفصل بين الحق والباطل ؛ حتى ذَكَرَ أن لها مفاصل كمفاصل اللحم ، من أخطأ شيئًا أخطأ الحقّ . فلما سمع ذلك منه كأنه أعجبه ، قال : فقال : لما فيه المسلمون . قال : فإن الله - عز وجل - سيُنجِّيك بشفقتك

(١) التوكل على الله عز وجل ، ابن أبي الدنيا صـ ٥٠ .
(٢) أي : عرض له .
(٣) المسحاة : المجرفة من الحديد .
(٤) أي : احتقره واستصغر شأنه .

على المسلمين ، وسَلْ ، فمن ذا الذي سأل الله - عز وجل - فلم يُعطه ، ودعاه فلم يُجبه ، وتوكَّل عليه فلم يَكْفِهِ ، أو وثق به فلم يُنَجِّه ؟! قال : فَعَلِقت[١] الدعاء : اللهم سلِّمْنِي وسلِّم مِنِّي . فتجلت[٢] ولم تُصب منه أحدًا[٣] .

بعض أهل العلم :

« عن محمد بن صالح التيمي ، قال : كان بعض أهل العلم إذا تلا : ﴿ **ومن يتوكَّل على الله فهو حسبه** ﴾[٤] ، قال : اللَّهمَّ إني سمعتك في كتابك تندب عبادك إلى كفايتك ، وتشترط عليهم التوكُّل عليك ، اللهم وأجد سبيل تلك الندبة سبيلًا قد انمحت دلالتها ، ودُرست ذكراها ، وتلاوة الحجَّة بها ، وأجد بيني وبينك مشبهات تقطعني عنك ، وعوقات تُقعدني عن إجابتك ، اللهم وقد علمتُ أن عبدًا لا يرحل إليك إلا ونالك ؛ فإنك لا تحتجب عن خلقك ، إلا أن تحجبهم الآمالُ دونك ، وعلمت أن أفضل زاد الراحل إليك صبرٌ على ما يؤدِّي إليك ، اللهم وقد ناجاك بعزم الإرادة قلبي ، وأفهمتني حجتك بما تبيَّن لي من آياتك ، اللهم فلا أتحيَّرنَّ دونك وأنا أُؤمِّلك ، ولا أختلجنَّ عنك وأنا أتحرَّاك ، اللهم فأيِّدني منك بما تستخرج به فاقة الدنيا[٥] من قلبي ، وتُنعشني[٦] من مصارع أهوائها ، وتسقيني بكأس للسُّلْوَة[٧]

---

(١) أي : فاغتنمته .
(٢) أي : انكشفت .
(٣) التوكل على الله عزَّ وجلَّ ، ابن أبي الدنيا صـ ٥٢ . وإسناده صحيح .
(٤) الطلاق : ٣ .
(٥) أي الحاجة إليها .
(٦) أي تنقذني .
(٧) أي : لنسيانها .

عنها ، حتى تستخلصني لأشرف عبادتك ، وتورثني ميراث أوليائك الذين ضربت لهم المنار[١] على قصدك ، وحشّتَهُم حتى وصلوا إليك . آمين رب العالمين »[٢] .

حكـيم :

قال بعض الحكماء : التوكل على ثلاث درجاتٍ ؛ أوَّلها : تَرْك الشكاية . والثانية : الرضا . والثالثة : المحبة . فترْك الشكاية درجةُ الصبر ، والرضا سكون القلب بما قسم الله عز وجل له ، وهي أرفع من الأولىٰ ، والمحبة أن يكون حبه لما يصنع الله عز وجل به،فالأولىٰ للزاهدين ، والثانية للصادقين ، والثالثة للمرسلين[٣] .

وعن السَّرِيّ بن يحيىٰ ، عن **وهيب بن الورد** : أن رجلين كُسر بهما في البحر[٤] فوقعا في الأرض ، فأتيا بيتًا مبنيًّا من شجر فكانا فيه ، فبينما هما ذات ليلة ، أحدهما نائم والآخر يقظان ، إذ جاءت امرأتان فوقفتا علىٰ الباب ، بهما من قُبح الهيئة شيء لا يعلمه إلا الله عز وجل ، فقالت إحداهما للأُخرىٰ : ادخلي . فقالت : ويحك ، إني لا أستطيع . قالت : ويحك ، لِمَهْ ؟ قالت : أوَ ما ترين ما في الباب ؟ فإذا لوح في البيت فيه كتاب[٥] : حسبي الله وكفىٰ ، سمع الله لمن دعا ، ليس من وراء الله مرمىٰ[٦،٧] .

---

(١) أي العلامات .

(٢) كتاب التوكل ، ابن أبي الدنيا ، صـ ٨٢ ، هامش ٤٤ .

(٣) التوكل لابن أبي الدنيا صـ ٨٤ .

(٤) كسر بهما سفينة في البحر .

(٥) أي مكتوب فيه .

(٦) في الحلية : منتهىٰ .

(٧) التوكل ، لابن أبي الدنيا صـ ٦٨ وإسناده حسن .

زُهيْر البـابيّ :

عن ابن أبي الدنيا قال : قال زهير البابي : ما أقدرُ أنْ أقول : توكَّلتُ علىٰ الله .

وفي الحلية : « لا أعلم أني توكَّلْتُ علىٰ الله ساعةً قطُّ » . أي : ما صحَّ له التوكل .

وعن الشعبي قال: تجالَس شتير ومسروق، فقال شتير: سمعت عبد الله- هو ابن مسعود رضي الله عنه - يقول : إنَّ أشدَّ آيةٍ في القرآن تفويضًا : ﴿ **وَمَنْ يتوكَّلْ علىٰ اللهِ فَهُوَ حَسْبُه** ﴾ [الطلاق : ٣] ، فقال مسروقٌ : صدقتَ(١) .

وأنشد سعيدُ بن محمد بن سعيد العاقري من قوله :

« صدقَ الكذوبُ و لم يكنْ بصدوقِ ... ما الحرْصُ إلَّا مِنْ طريقِ الموقِ
قـد قـدَّر اللهُ الأمورَ بعلْمِـهِ ... فيها علىٰ المحروم والمرزوقِ
فـإذَا طلبتَ فـلا إلىٰ متطلِّـبٍ ... وإذا اتَّكَلْـتَ فـلا علىٰ مخلـوقِ
فإذَا اتكلتَ فكنْ بربِّك واثقًا ... لا ما تحصَّل عندكَ الموثوقِ »(٢)

وعن عُقبة بن أبي زينب ، قال : مكتوبٌ في التوراة : « لا توكَّلْ علىٰ ابن آدم ؛ فإنَّ ابن آدم ليس له قوام ، ولكنْ توكلْ علىٰ الله الحيِّ الذي

---

(١) كتاب « التوكل » لابن أبي الدنيا ، صـ ٨٧ ، وإسناده جيد ، وأخرجه الطبراني في الكبير من طريق سعيد بن مسروق عن الشعبي به مطوّلًا ، ولفظُه : أشدُّ آيةٍ في كتاب الله تفويضًا : ﴿ **ومنْ يتَّقِ اللهَ يجعلْ لَهُ مَخْرجًا** ... ﴾ الآية [الطلاق : ٢] ، وإسناده صحيح . « كتاب التوكل » لابن أبي الدنيا ، صـ ٨٧ ؛ هامش ٥٠ .

(٢) « التوكل » لابن أبي الدنيا صـ ٨٨ .

لا يموت »[(١)].

عن ابن مسعود ، عن النبي ﷺ قال : « الطِّيَرة مِن الشرك ، ولكنَّ اللهَ عز وجلّ يُذهبها بالتوكّل »[(٢)].

عن عبد الله قال : قال رسول الله ﷺ : « الطِّيَرة شرك - ثلاثًا - وما منّا إلا ولكنّ الله يُذهبه بالتوكل »[(٣)].

عن العقار بن المغيرة ، عن أبيه قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنِ استرقىٰ واكتوىٰ فقد بَرِئ من التوكُّل »[(٤)].

---

(١) إسناده جيد ، كتاب التوكل لابن أبي الدنيا صـ ٦٤ .

(٢) أخرجه الطيالسي ، وأحمد ، وابنه عبد الله في السنة ، والطحاوي في المشكل ، وفي شرح المعاني ، والحاكم ، وابن بشران في الأمالي ، والبيهقي في السنن ، والبغوي في شرح السنة من طريق شعبة به ، وإسناده صحيح ، وقد أخرجه المزي في التهذيب من طريق المصنف ، وقال الحاكم : صحيحٌ سندُه ، ورواته ثقات ، وأقرَّه الذهبي . انظرْ كتاب التوكل ، ابن أبي الدنيا صـ ٧٨ هامش ٤١ .

(٣) أخرجه أحمد ، والبخاري في الأدب المفرد ، وأبو داود ، والترمذي وقال : حسن صحيح . وابن ماجه ، والطحاوي في المشكل ، والبيهقي في السنن وفي الشعب ، والمزي في التهذيب من طريق سفيان به ، وإسناده صحيح ، والحديث صحَّحه العراقي في أماليه ، كما في الفيض ، والمناوي في التيسير .
واعلم أنَّ قوله : « وما منا إلّا ولكنّ اللهَ يُذهبه بالتوكل » - من كلام ابن مسعود - مدرجٌ في الحديث غير مرفوع ، كما نصَّ علىٰ ذلك جماعة من الأئمة الكبار ، وهم : سليمان بن حرب ، شيخ البخاري ، والمنذري وابن القيم والهيثمي والحافظ ابن حجر والسيوطي . انظر : « التوكل » لابن أبي الدنيا ، صـ ٧٩ ، هامش ٤٢ ، الجامع لشعب الإيمان ، للبيهقي ، ٨٤ / ٢ .

(٤) إسناده ضعيف ، ومع ذلك فقد حسّن الحديث البغوي ، وصحَّحه المناوي في التيسير ، انظر : كتاب التوكل ، لابن أبي الدنيا صـ ٨٠ ، ٨١ ، هامش ٤٣ ، =

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لما أُلقي إبراهيم ﷺ في النار ، قال : حسبنا الله ونعم الوكيل ، وقال محمد ﷺ مثلها[١].

وعن أنسِ بن مالكٍ قال : قال رسول الله ﷺ : « مَنْ قال : بسم الله ، توكّلتُ علىٰ الله ، لا حول ولا قوّة إلّا بالله ، فيُقال له حينئذٍ : كُفيتَ ووُقيتَ ، وتنحّىٰ له الشيطان »[٢].

وعن مجاهدٍ قال : كان يُقال : إذا خرج الرجل من المسجد فلْيَقُلْ : بسم الله ، توكلتُ علىٰ الله ، اللهمَّ إني أعوذُ بكَ مِن شرِّ ما خرجتُ إليه[٣].

وقال رسول الله ﷺ : « لنْ يَلِجَ الدرجاتِ العُلَىٰ مَن تكهَّن ، أو استقسم ، أو رجع من سَفَرٍ تطيُّرًا »[٤].

= الجامع لشعب الإيمان .

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، ومن طريقه البغوي في تفسيره، والنسائي في الكبرىٰ وعمل اليوم والليلة ، والحاكم ، والبيهقي في الأسماء والصفات ، انظر : التوكل علىٰ الله عز وجل ، ابن أبي الدنيا صـ ٦٦ .

(٢) أخرجه أبو داود ، والترمذي ، والنسائي في عمل اليوم والليلة ، وابن حبان ، وقال الترمذي : حديث صحيح حسن غريب ، لا نعرفه إلّا من هذا الوجه ، وقد ذكر الحافظ في تخريج الأذكار له شاهدًا مرسلًا ، من حديث عوْن بن عبد الله . وقال عنه : (قوي الإسناد) فلعلّه يتقوىٰ به ، والله أعلم ، انظر : التوكل على الله عز وجل ، ابن أبي الدنيا ، صـ ٥٥ .

(٣) إسناده صحيح ، وانظر أذكارًا أُخرىٰ في « الأذكار » و« الكلم الطيب » ، التوكُّل على الله عز وجل ، ابن أبي الدنيا ، صـ ٥٧ .

(٤) حسن ، رواه الطبراني في الكبير عن أبي الدرداء ، ورواه تمام ، وحسّنه الألباني في الصحيحة رقم ١١٦١ ، وصحيح الجامع رقم (٥١٠٢) .

التوكُّل أوسعُ وأعلىٰ مِن التفويض :

يرىٰ شيخ الإسلام الهروي أنَّ التفويض أعلىٰ من التوكل ؛ فإنَّ التوكّل بعد وقوع السبب ، والتفويض قبل وقوعه وبعده ، وهو ألطف إشارةً وأوسعُ معنًى من التوكل .

والتفويضُ هو عين الاستسلام ، والتوكّل شعبة منه .

والتفويضُ براءةٌ من الحوْل والقوة ، وتسليم الأمر كلِّه إلى مالكه ، فالمفوِّض يتبرَّأ من الحول والقوة ، ويفوِّض الأمر إلى صاحبه من غير أن يقيمه مقام نفسه في مصالحه ، بخلاف التوكل ؛ فإنَّ الوكالة تقتضي أن يقوم الوكيل مقام الموكّل .

ويرىٰ شيخ الإسلام ابن قيم الجوزية أن التوكّل أوسع وأعلىٰ من التفويض ، فإنْ كان التفويض براءةً من الحول والقوة، «كذلك التوكل أيضًا ، وما قدحْتُمْ به في التوكّل ، يردّ عليكم نظيره في التفويض سواء ، فإنّك كيف تفوّض شيئًا لا تملكه ألبتة إلى مالكه ؟! وهل يصحّ أنْ يفوّض واحد من آحاد الرعيّة المُلك إلى مَلِك زمانه ؟!

فالعلّة إذنْ فِي التفويض أعظمُ منها في التوكّل ، بل لو قال قائل : التوكّل فوق التفويض ، وأجلّ منه وأرفع ، لَكَانَ مصيبًا . ولهذا كان القرآن مملوءًا به أمْرًا ، وإخبارًا عن خاصّة الله وأوليائه ، وصفوة المؤمنين ، بأنّ حالَهم التوكلُ . وأمر الله به رسوله في أربعة مواضعَ مِن كتابه[1] ، وسماه

---

(١) بل أكثر من ذلك ؛ قال الله : ﴿ **فإذا عَزَمْتَ فتوكَّلْ علىٰ اللهِ** ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . وقال : ﴿ **فأعرِضْ عنهُمْ وتوكَّل علىٰ اللهِ وكفىٰ باللهِ وكيلًا** ﴾ [النساء : ٨١] . وقال : ﴿ **وإنْ جَنَحُوا للسَّلْم فاجْنَحْ لها وتوكَّل علىٰ اللهِ** ﴾ [الأنفال : ٦١] . وقال : ﴿ **وتوكَّلْ علىٰ العزيزِ الرَّحِيمِ** ﴾ [الشعراء : =

« المتوكّل » ، كما في صحيح البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال : « قرأتُ في التوراة صفة النبي ﷺ : محمد رسول الله ، سَمَّيْتُهُ المتوكل ، ليس بِفظٍّ ، ولا غليظ ، ولا سَخَّاب بالأسواق » .

وأخبر عن رسله بأنّ حالَهم كان التوكّل ، وبه انتصروا علىٰ قومهم . وأخبر النبي ﷺ عن السبعين ألفًا الذين يدخلون الجنة بغير حسَاب ، « أنهم أهل مقامِ التوكل » .

ولم يجيء التفويض في القرآن إلّا فيما حكاه عن مؤمن آل فرعون ، من قوله : ﴿ **وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللهِ** ﴾ [غافر : ٤٤] ، وقد أمر الله رسوله ﷺ بأن يتّخذه وكيلًا . فقال : ﴿ **ربُّ المشرقِ والمغربِ لا إلـٰهَ إلَّا هُو فاتّخِذْهُ وكيلًا** ﴾ [المزمل : ٩] ، وهذا يُبطل قوْل مَن قال مِن جهلة القوم : إنّ توكيلَ الربِّ فيه جَسَارة علىٰ الباري ؛ لأنّ التوكُّل يقتضي إقامة الوكيل مقام الموكّل ، وذلك عيْن الجسارة .

قال : ولولا أنّ الله أباح ذلك وندَب إليه ، لمَا جاز للعبد تعاطيه .

وهذا من أعظم الجهل ؛ فإن اتخاذه وكيلًا هو محضُ العبودية ، وخالص التوحيد ، إذا قام به صاحبه حقيقةً .

ولله دَرُّ سيد القوم ، وشيخ الطائفة سهل بن عبد الله التستري ، إذْ يقول : العلم كلّه بابٌ من التعبُّد ، والتعبُّد كلُّه باب من الورَع ، والورع

= ٢١٧] وقال : ﴿ **فتوكّلْ علىٰ اللهِ إنَّكَ علىٰ الحقِّ المُبِينِ** ﴾ [النمل : ٧٩] . وقال : ﴿ **وتوكَّلْ علىٰ اللهِ وكَفَىٰ باللهِ وكيلًا** ﴾ [الأحزاب : ٣] وقال : ﴿ **ودعْ أَذَاهُمْ وتوكَّلْ علىٰ اللهِ وكفىٰ باللهِ وكيلًا** ﴾ [الأحزاب : ٤٨] . وقال : ﴿ **فاعبدْهُ وتوكَّلْ عليهِ** ﴾ [هود : ١٢٣] وقال : ﴿ **وتوكلْ علىٰ الحي الذي لا يموتُ** ﴾ [الفرقان : ٥٨] .

كلّه باب من الزهد ، والزهد كله باب من التوكل .

فالذي نذهب إليه : أنّ التوكل أوسع من التفويض ، وأعلىٰ وأرفع .

قوله : « فإنَّ التوكّل بعد وقوع السبب ، والتفويض قبل وقوعه وبعده » .

يعني بالسبب : الاكتساب . فالمُفوِّض قد فوّض أمْره إلى الله قبل اكتسابه وبعده ، والمتوكّل قد قام بالسبب ، وتوكّل فيه علىٰ الله ، فصار التفويض أوسع .

فيقال : والتوكّل قد يكون قبل السبب ومعه وبعده ، فيتوكل علىٰ الله أنْ يقيمَه في سببٍ يُوصله إلى مطلوبه ، فإذا قام به توكّل علىٰ الله حال مباشرته ، فإذا أتمّه توكّل علىٰ الله في حصول ثمراته ، فيتوكل على الله قبله ، ومعه ، وبعده .

فعلى هذا : هو أوسع مِن التفويض على ما ذُكر »[١].

قال أبو سليمان الداراني : إذا بلغ العبد الغاية مِن الزهد ، أخرجه ذلك إلى التوكّل .

ونختم بقوْل رسولنا ﷺ : « لو أنَّ ابنَ آدم هرَب مِن رزقِهِ كما يهرَب من الموت ، لأَدركه رزقُه كما يُدركه الموت »[٢].

ولله دَرُّ القائل :

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٣٨ - ١٤١ .

(٢) حسن ؛ رواه أبو نعيم في الحلية عن جابر ، وحسّنه الألباني في السلسلة الصحيحة رقم ٩٥٠ ، وصحيح الجامع رقم ٥١١٦ .

وَيَزْعُمُ أَنَّهُ مِنَّا قريبٌ   وأَنَّا لا نُضَيِّعُ مَنْ أَتَانَا
وَيَسأَلُنَا علىٰ الإقتار جُودًا   كأَنَّا لا نراهُ ولا يَرانا

الثِّقَةُ باللهِ تعالىٰ :

ومن علو الهمّة في التوكّل : الثقة بالله تعالىٰ ، فالثقة سواد عيْن التوكل ، ونقطةُ دائرة التفويض ، وسُويداء قلب التسليم .

والثقة خلاصةُ التوكّل ولبُّه ، كما أنّ سواد العين أشرف ما في العين .

والثقة هي النقطة التي يدور عليها التفويض ، فلو كان التفويض قلبًا ، لَكَانت الثِّقة سويداءَه ، ولو كان عينًا لَكانت سوادَها . والثقة هي رُوح التوكل ، ونسبتها إلى التوكل كنسبة الإحسان إلى الإيمان .

وعنوانها : أَمْن العبد من فَوْتِ المقدور ، وانتقاض المسطور ، فيظفر بروح الرضا ، وإلا فبعين اليقين ، وإلَّا فبلطْف الصبر .

وذلك أنَّ مَن تحقّق بمعرفة الله ، وأنّ ما قضاه الله : فلا مردّ له ألبتة ؛ أَمِن من فوْت نصيبه الذي قسّمه الله له ، وأَمِن أيضًا من نقصان ما كتبه الله له ، وسطّره في الكتَاب المسطور ، فيظفر بروح الرضا ، أي براحته ولَذّته ونعيمه ؛ لأنّ صاحب الرضا في راحة ولَذَّة وسرور ، كما في حديث عبد الله ابن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي ﷺ : « إنّ الله - بعدْله وقسطه - جعل الرَّوْح والفرَح في اليقين والرضا ، وجعل الهمَّ والحزَن في الشَّكِّ والسخط » . فإن لم يقدر العبد علىٰ « روح الرضا » ، ظفر « بعين اليقين » ، وهو قوة الإيمان ، ومباشرته للقلب . فإن لم يحصل له هذا المقام ، حصل على « لطْف الصبر » وما فيه من حسْن العاقبة .

فإنِ استطعت أن تعمل لله بالرضا مع اليقين فافعل ، فإنْ لم تستطع ، فإنَّ في الصبر على ما تكره النفس خيرًا كثيرًا .

وخير مثال على الثقة بالله تعالىٰ وعلوّ الهمة فيها : أُمُّ موسىٰ رضي الله عنها ؛ قال تعالىٰ : ﴿ **وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ** ﴾ [القصص : ٧] . قال ابن القيم : « فإن فعْلَها هذا هو عيْن ثقتها بالله تعالىٰ ، إذْ لولا كمال ثقتها بربِّها ، لَمَا ألقتْ بولدها وفِلذَة كبدها في تيار الماء ، تتلاعب به أمواجه ، وجَرَيَانه إلى حيث ينتهي أو يقف »[1] .

لله ما أشرفَ هذا المقام وأحلاه وأعلاه .. إنّ الأُمَّ إذا خافت على ولدها ، ضمَّته إلى صدرها ... ولكنّ أمَّ موسىٰ يُلهمها اللهُ تعالىٰ أن تُلقي بولدها إلى النهر .. ثقةً منها بربِّها ... ويتهادىٰ التابوتُ بالرضيع حتىٰ يصل إلى تحت قصر فرعون .. لتكون المعركة على أرضه .. إنّكَ تُرسل المئات والآلاف بحثًا عن الرضيع ، وتُذبّح من أجْلِهِ الآلاف من الرجال ، وتستحيي النساء ... فها هو الآنَ في قصرك ... وأطلَّتْ آسيَةُ علىٰ الجمال المُوسَوِيّ الذي زكّي صاحبه بقوله تعالىٰ : ﴿ **وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي** ﴾ [طه : ٣٩] ، فألقىٰ اللهُ محبّته في قلبها ، فقالت : ﴿ **قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ** ﴾ [القصص : ٩] ، لِهَوان فرعونَ على الله ، لم يُرسل اللهُ تعالىٰ مع موسىٰ لِحفْظه طائفةً من الملائكة ، وإنما حَمَاه بأرَقِّ شيءٍ .. سِتْر رقيق من المحبَّة يُغلّف قلبَ آسية ... ونفّذ فرعونُ أمْر آسية . فانظرْ كمْ قتلَ فرعونُ للظفر بموسىٰ ، ولسانُ القدر يقول له : « لا نربِّيه إلّا في حِجْرك »... ويُحرِّم اللهُ علىٰ موسىٰ المراضعَ ، لِتُرْضِعَه أُمُّه ، ليكون الرَّدُّ كاملًا ﴿ **إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ** ﴾ [القصص : ٧] ... فانظرْ جزاءَ الثقةِ بالله تعالىٰ ... الطمأنينة ﴿ **رَبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا** ﴾ [القصص : ١٠] ... بعد أنْ كانت تُرضع ولدها على

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٤٣ .

خَوْف من فرعون وملَائه ، فالآنَ تُرضع بأمْر فرعون ... وثِقَتْ بربِّها ... فكانت تُرضع ولدَها وتأخذ أجْرها ... وما كان هذا أبدًا لأُمٍّ غيرها ...

وردَّ الله إليها ولدها ... وأنعم عليه بالنبوة ، فإنَّ الهديَّة إذا جاءتْ من عند الملك تُضمَّخُ بطِيبهِ ...

ومن قبلها أُمُّ إسماعيل ، تَثِقُ بربها « إذن لا يضيِّعُنا » . فيرسل الله سيد ملك السماء جبريل ، ليحفُر لها زمزم .

فهلَّا وثقتَ بربِّك ، وملأتَ قلبك فرحًا به ... ولم تترك في قلبك مكانًا خاليًا لمحبَّة سواه ، وردَّدتَ ما قال القائل :

وملأتَ قلبي منكَ حتى لم تدعْ مـني مكانًـا خاليًا لِسِـوَاكَا
والقلـبُ فيكَ هَيَامُه وغرامُهُ والروحُ لا تنفكُّ عَنْ ذِكْراكَا

□ علوُّ الهمَّة في التَّسْلِيم □

« وهو نوعان : تسليم لحكمه الديني الأمري ، وتسليم لحكمهِ الكوني القدَري .

فأمَّا الأول : فهو تسليم المؤمنين العارفين ؛ قال تعالى : ﴿ **فلا وربِّكَ لا يُؤمنونَ حتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَينهمْ ثمَّ لا يَجدُوا في أنفسِهمْ حَرَجًا ممَّا قضيتَ ويسلِّمُوا تسليمًا** ﴾ [النساء : ٦٥] . فهذه ثلاث مراتب : التحكيم ، وسَعَة الصدر بانتفاء الحَرَج ، والتسليم .

وأما التسليم للحكم الكوني : فمزلّة أقدام ، ومَضَلّة أفهام ، حيّر الأنام ، وأوقع في الخصام . وهي مسألة الرضا بالقضاء .

والتسليم للقضاء يُحمَد إذا لم يُؤمر العبد بمنازعته ودفْعه ، ولم يقدر

علىٰ ذلك ، كالمصائب التي لا قُدرة له على دفعها .

وأمّا الأحكام التي أُمر بدفْعها : فلا يجوز له التسليم إليها ، بل العبودية : مدافعتها بأحكامٍ أُخَر ، أحبَّ إلى الله منها »[١].

إيَّاك وعِلَّةَ التَّسْليم :

يقول الهروي : « وفي التسليم والثقة والتفويض : ما في التوكُّل مِن العلل » .

ويقول ابن القيم شارحًا : « يعني أنّ العلل التي في « التوكل » من معاني الدعوىٰ ، ونسبتُه الشيء إلى نفسه أولًا ، حيث زعم أنه وَكَّل ربَّه فيه ، وتوكَّل عليه فيه ، وجعله وكيله القائم عنه بمصالحه التي كان يحصّلها لنفسه بالأسباب والتصرفات ، وغير ذلك من العلل .

وليس في التسليم إلا علّة واحدة : وهي أن لا يكون تسليمُه صادرًا عن محْض الرضا والاختيار ، بل يَشُوبه كُرْهٌ وانقباض ، فيلسم على نوعِ إغماض . فهذه علة التسليم المؤثّرة . فاجتهد في الخلاص منها »[٢].

أَوَّلُ التَّسْـلِيم :

« وأولُ التسليم : أنْ لا تطلب على الحقِّ دليلًا ؛ قال تعالىٰ : ﴿ **أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ** ﴾ [فصّلت : ٥٣] . فكيف تُحوِج وليَّك وحبيبك إلى أنْ يُقيم لك الدليل علىٰ التوحيد والمعرفة ، بحيث لا تسير إليه حتى يقيمَ لك دليلًا علىٰ وجوده ووحدانيته ، وقدرته ومشيئته ؟! ولو أنّ رجلًا دعاك إلى داره ، فقلتَ للرسول : لا آتي معكَ حتى تُقيم لي الدليل

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٤٦ .

(٢) مدارج السالكين ٢ / ١٤٧ .

علىٰ وجود مَن أرسلك ، وأنَّه مُطاع ، وأنَّه أهلٌ أنْ يُغشىٰ بابُه . لَكُنْتَ في دعوىٰ الفُتوَّة زنيمًا . فكيف بمن وجودُه ووحدانيَّته وقدرته ، وربوبيّته وإلٰهيَّته ، أظهرُ من كلِّ دليل تطلبه ؟! فما مِن دليلٍ يُستدل به ، إلَّا ووحدانيّة الله وكماله أظهر منه ، فإقرارُ الفِطَرِ بالربِّ سبحانه خالق العالم ، لم يُوقفها عليه مُوقِف ، ولم تحتجْ فيه إلى نظر واستدلال ، ولهذا لم تدعُ الرسلُ قطُّ الأممَ إلى الإقرار بالصانعِ سبحانه وتعالىٰ ، وإنما دعَوْهم إلىٰ عبادته وتوحيده ، وخاطَبوهم خطابَ مَن لا شبهة عنده قطّ في الإقرار بالله تعالىٰ ، ولا هو محتاجٌ إلى الاستدلال عليه ، ولهذا ﴿ **قالتْ لهمْ رسلُهُمْ أَفِي اللهِ شكٌّ فَاطِرِ السمٰواتِ والأرض ...** ﴾ الآية [إبراهيم : ١٠] ، وكيف يصحُّ الاستدلال علىٰ مدلولٍ هو أظهرُ من دليله ؟! حتىٰ قال بعضهم : كيف أطلب الدليل علىٰ مَن هو دليلٌ على كلِّ شيء ؟! فتقْييد السائر بالدليل وتوقُّفه عليه دليلٌ على عدم يقينه ، بل إنما يتقيّد بالدليل الموصّل له إلى المطلوب بعد معرفته به ؛ فإنه يحتاج بعد معرفته إلى دليل يُوصله إليه ويدلّه على طريق الوصول إليه ، وهذا الدليل هو الرسول ﷺ ، فهو موقوف عليه يتقيَّد به ، لا يخطو خطوةً إلَّا وراءه ﷺ ، فيكون علمُه ويقينه ونورُ بصيرته ، مغنيًا له عن كثيرٍ من الأدلّة التي يتكلّفها المتكلّفون وأرباب القَال ؛ فإنه مشغول عنها بما هو أهمُّ منها ، وهو الغاية المطلوبة .

مثاله : أنَّ المتكلّمَ يُفني زمانه في تقرير حدوث العالَم ، وإثبات وجود الصانع ، وذلك أمْر مفروغ منه عند السالك الصادق ، صاحب اليقين . فالذي يطلبه هذا بالاستدلال الذي هو عُرضة الشُّبه والأسئلة والإرادات ، التي لا نهاية لها ؛ هو كشفٌ ويقين للسالك ، فتقييده في سلوكه بحالِ هذا المتكلِّم انقطاعٌ وخروج عن الفتوّة .

وهـذا حقٌّ لا يُنازِع فيه عـارف ، فترىٰ المتكلم يبحث في الزمان

والمكان ، والجواهر والأعراض والأكوان ، وهمّته مقصورة عليها لا يعدوها ، ليصل منها إلى المكوّن وعبوديته .

والسالك قد جاوزها إلى جمْع القلب علىٰ المكون وعبوديته ، بمقتضىٰ أسمائه وصفاته ، لا يلتفتُ إلى غيره ، ولا يشتغل قلبه بسواه .

فالمتكلّم متفرّقٌ مُشتغِل في معرفة حقيقة الزمان والمكان . والعارف قد شحّ بالزمان أنْ يذهب ضائعًا في غير السَّيْر إلى ربِّ الزمان والمكان . فصاحب التسليم لا يتعلّق في سيره بدليل » .

الشُبُهات والشَّهَوات سببُ الانقطاع :

تمـامُ التَّسْلِيم :

« وتمام التسليم بالخلاصِ من شُبهة تُعارِض الخبر ، أو شهوة تعارِض الأمر ، أو إرادة تُعارِض الإخلاص ، أو اعتراضٍ يُعارِض القدَر والشرع . وصاحب هذا التخلُّص : هو صاحب القلب السليم الذي لا ينجو يوم القيامة إلَّا مَن أتىٰ الله به ، فإنَّ التسليم ضدُّ المنازَعة .

والمنازَعة : إمَّا بشبهة فاسدة ، تُعارض الإيمان بالخبر عمّا وَصَفَ اللهُ به نفسه من صفاته وأفعاله ، وما أخبر به عن اليوم الآخر ، وغير ذلك . فالتسليم له : ترْكُ منازعته بشبهات المتكلّمين الباطلة .

وإمّا بشهوةٍ تعارِض أمْر الله عز وجل : فالتسليم للأمر بالتخلُّص منها .

أو إرادة تُعارِض مراد الله من عبده ، فتعارضه إرادة تتعلَّق بمراد العبد من الربّ . فالتسليم : بالتخلّص منها .

أو اعتراضٍ يُعارض حِكْمته في خلقه وأمره ، بأنْ يظنَّ أنَّ مقتضىٰ الحكمة خلافُ ما شرعَ ، وخلاف ما قضىٰ وقدّر . فالتسليم : التخلُّص من

هذه المنازعات كلّها .

وبهذا يتبيّن أنه مِن أجَلّ مقامات الإيمان ، وأعلىٰ طرق الخاصة ، وأنَّ « التسليم » هو مَحْضُ الصِّدِّيقية التي هي بعد درجة النبوة ، وأنَّ أكملَ الناس تسليمًا أكملُهم صِدِّيقية »(١) .

أكملُ التسليمِ تسليمُ الخليلِ وولَدِهِ إسماعيل صلىٰ الله عليهما وسَلَّم :

قال اللهُ مُثنيًا علىٰ خليله إبراهيم ﷺ : ﴿ **إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾ [الصافات : ٨٤] ، سليم ممّا سوىٰ الله عز وجل .. سلّم لربّه كلَّ شيءٍ .. يأمره الله عز وجل بوضْع ولده وزوجته في صحراء ، لا مكان فيها لقطرة ماء أو طعام أو إنسٍ ، فيُسَلِّم ، ويشبُّ ولده النجيب الذي أُعطيه علىٰ الكبر وهو الشيخ الطاعن في السن ، المهاجر من الأهل والقرابة والدار ، فيأمره بذبحه بإشارة في المنام ، وليس أمرًا صريحًا في اليقظة ، فيُسَلِّم ، حتىٰ ولو كان الأمر منامًا ، فكيفي أنه من الله ليسلّم ، ويريد إبراهيم أن يذوق ابنُه جَمَالَ التسليم وحلاوة الرضا ، فيقول لابنه : ﴿ **يا بُني إنّي أرىٰ في المنامِ أنّي أَذْبَحُكَ فانظرْ ماذا ترىٰ** ﴾ فماذا يكون من إسماعيل الحليم ابن الخليل ؟

وهل يُنبتُ الخطِّيَّ إلَّا وشيجُه ... ويُزرَعُ إلَّا في مَنَابِتِـهِ النخـلُ

﴿ **قالَ يا أبتِ افعلْ ما تُؤمرُ ستجدُني إنْ شاءَ اللهُ مِنَ الصابرينَ فلمَّا أسلمَا وتلَّهُ للجبين وناديْنَاهُ أنْ يا إبراهيمُ قدْ صدَّقْتَ الرُّؤْيَا إنَّا كذلكَ نجزِي المحسنينَ إنَّ هذا لهو البلاءُ المبينُ وفديْناهُ بذبحٍ عظيمٍ وتركْنَا عليه في الآخرينَ سلامٌ علىٰ إبراهيمَ** ﴾ [الصافات : ١٠٢ - ١٠٩] .

ويبقىٰ هذا الحادث الوحيد الفريد منارةً للتسليم وجماله ، والرضا

---

(١) تهذيب مدارج السالكين صـ ٣٤٨ - ٣٤٩ لعبد المنعم صالح العلي - مكتبة لينة .

ومذاقه الطيِّب ، استحقَّ به إبراهيمُ وولدُه سلامَ الله عز وجل ، يُرقم في السِّجلِّ الخالد ، وكتابهِ المرقوم .

ومن علوّ الهمّة في التسليم : « تسليمُ العلْم إلى الحال . ولا يُراد تحكيمُ الحال علىٰ العلم ، وإنما الانتقال من الوقوف عند صُوَر العلم الظاهرة ، إلى معانيها وحقائقها الباطنة ، وثمراتها المقصودة منها ، مثل الانتقال من محْض التقليد والخبر إلى العيان واليقين ، حتىٰ كأنّه يرىٰ ويشاهد ما أخبر به الرسول ﷺ ، كما قال تعالىٰ : ﴿ **ويرىٰ الذينَ أُوتُوا العلمَ الذي أُنزلَ إليكَ من ربِّكَ هُوَ الحقّ** ﴾ [سبأ : ٦] . وقال تعالىٰ : ﴿ **أفمنْ يعلمُ أنَّ مَا أُنزِلَ إليكَ مِن ربِّكَ الحقُّ كَمَنْ هوَ أعمىٰ** ﴾ [الرعد : ١٩] ، فينتقل من العلم إلى اليقين ، ومن اليقين إلى عين اليقين ، ومن علْم الإيمان إلى ذوق طعم الإيمان ووجدان حلاوته ، فإن هذا قدْرٌ زائد على مجرّد علمه ، ومن عِلْم التوكّل إلى حاله ، وأشباه ذلك . فيسلّم العلْمُ إلى الحال الصحيح ، فإنّ سلطان الحال أقوىٰ من سلطان العلم ، فإذا كان الحال مخالِفًا للعلم فهو مَلِكٌ ظالم ، فلْيخرج عليه بسيف العلْم وليُحكّمه فيه .

ومن أعلىٰ التسليم : تسليمُ ما دون الحقِّ إلى الحقّ ، مع السلامة من رؤية التسليم ، بمعاينة تسليم الحقِّ إيَّاك إليه ، أي : ينكشف لك – حين تسلّم ما دون الحقِّ إلى الحقِّ ، وتضمحلُّ الخلائق عند شهود الحقِّ – أنَّ الحقَّ تعالىٰ هو الذي سلّم إلى نفسه ما دونه ، فالحق تعالىٰ هو الذي سلّمك إليه ، فهو المسلِّم وهو المسلَّم إليه ، وأنت آلةُ التسليم ، فمن شهد هذا المشهد وجد ذاته مسلَّمة إلى الحقّ ، وما سلّمها إلى الحقّ غير الحقّ ، فقد سَلِمَ العبد من دعوىٰ التسليم »[1] .

---

(١) مدارج السالكين ٢ / ١٥٢ .

لا تدبّــرْ لكَ أمــرًا   **فأُولو التدبير هلكَىٰ**
سَـلِّمِ الأمـرَ تجدْنَـا   نحـنُ أَوْلَىٰ بِكَ مِنْكَـا

* * *